بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد.

فقال الإمام ابن أبي داود في حائيته:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ودن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح
وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذاك دان الأتقياء وأفصحوا
ولا تقل في القرآن بالوقف قائلا ... كما قال أتباع لجهم وأسجح
ولا تقل القرآن خلق قراءة ... فإن كلام الله باللفظ يوضح
وقل يتجلى الله للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح
وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثلما قد قال في ذاك تنجح

الشَّرْحُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فأسأل الله ـعز وجلـ أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يفقهنا جميعا في دينه، وأن يرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله ـصلى الله عليه وسلمـ على نهج وفهم سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الإخوة في الله هذه المنظومة منظومة عظيمة، وإن كانت أبياتها قليلة ولكنها اشتملت على أصول كثيرة

في اعتقاد أهل السنة والجماعة، وناظمها إمام علم من علماء الأمة الذين هم على نهج السلف الصالح، وهو ابن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ابن صاحب السنن أبو داود، هذا ابنه، وقد نظم هذه المنظومة _رحمه الله_ ولم يذكر لها مقدمة، والسبب _والله أعلم_ أنها نقلت عنه في بعض مجالسه ورواها العلماء عنه، وذكروها في ترجمته فذكرت في أثناء الترجمة، ولهذا تجدون هناك تفاوت في النقل عن هذه، نقل هذه الأبيات تجدون منهم من جعلها ثلاثة وثلاثين، ومنهم من زاد إلى أن أوصلها إلى أربعين كما في النسخة التي بين أيديكم، وهذه المنظومة تعتبر من أوائل ما ألف وصنف في عقيدة أهل السنة والجماعة، من أوائل ما ألف في ذلك العصر.

وقد اشتملت هذه المنظومة على وصايا وعلى أصول وعلى بيان سمات أهل السنة والجماعة، والتحذير ممن خالفهم من أهل البدع في كل زمان ومكان، ومعلوم أن هذه المدة التي جعلت لشرح هذه المنظومة لا نتمكن معها من البسط والإيضاح، والإطناب ولكن سنمر عليها إن شاء الله ونوضح المعاني وأصول أهل السنة والجماعة، وذكر أبرز من خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسائل وسيتضح إن شاء الله المراد، وأما البسط فلعلكم أن ترجعوا إلى من شرح هذه المنظومة من المتقدمين أو المعاصرين.

بدأ الناظم _رحمه الله_ هذه العقيدة بوصايا عظيمة جدا، فقال في أولها:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح

فبدأ هذا البيت الأول بثلاث وصايا وذكر أن هناك ثمرة عظيمة لمن أخذ بهذه الوصايا فالوصية الأولى: قال: « تمسك بحبل الله » هذه وصية عظيمة، تمسك يعني اعتصم واثبت بحبل الله، والحبل معلوم أنه هو السبب الذي يوصلك إلى الغاية التي تريدها، وتطلبها، ومن هذا سمي الحبل حبلا أو سببا سمي الحبل سببا لأنه يوصل، وهكذا الأسباب تسمى حبالا لأنها توصل، فالحبل هو الذي يوصلك إلى المقصود ومنه الحبل المعروف فإن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى ما في قعر البئر إلا من طريق الحبل، وهكذا الطريق يسمى حبلا لأنه يوصلك إلى الغاية المنشودة، ولاشك أن حبل الله _عز وجل_ هو أعظم ما

يوصلك إلى الغاية المطلوبة وهي رضا الله ـعز وجلـ وأن تكون من حزبه وأن تكون من أهل دار كرامته وهو حبل الله ـعز وجلـ أي الكتاب حبل الله العلماء اختلفوا في معنى الحبل في الآية في قوله ـعز وجلـ: ﴿ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وهنا قال تمسك بحبل الله، والتمسك هو الاعتصام، اعتصم بحبل الله، ما هو الحبل الذي يوصلك إلى الغاية؟ فسر بعبارات عند السلف، فمنهم من قال: إن المراد بالحبل القرآن، ومنهم من قال: إن المراد بالحبل الدين، ومنهم من قال: إن المراد بالحبل الرسول وهكذا، وهذه العبارات عند السلف تسمى اختلاف تنوع، لأن عبارات السلف في تفسير القرآن على نوعين، نوع يسمى اختلاف تنوع، بمعنى أن الخلاف إنما هو في العبارات فقط، ولكن في النتيجة والحقيقة المعنى واحد والمؤدى واحد، فمن قال بهذا القول لا يخالف من قال بالقول الآخر، هذا معنى اختلاف التنوع، وشيخ الإسلام ذكر في مقدمة التفسير ذكر أن كثيرا مما يجري فيه الخلاف بين السلف إنما هو من هذا الباب وهو اختلاف التنوع، لأنك إذا فسرت الحبل بالقرآن ما ينافي أن يكون الحبل هو الشريعة، ولا ينافي أن يكون الحبل هو الرسول، فلا قرآن إلا برسول، ولا رسول إلا برسالة، وهكذا فالمعنى واحد، المقصود تمسك بحبل الله ، تمسك بكتاب اللهـعز وجلـ، فهذه وصية عظيمة يأمرك المؤلف الناظم أن تتمسك بالكتاب، ومعلوم أن أساس العلم وأصله هو القرآن، القرآن هو الأساس وهو الأصل الذي من ظن أن العلم يكون بدونه فقد ضل ضلالا بعيدا، القرآن هو الأصل، ولهذا النبي ـصلى الله عليه وسلمـ في مواطن كثيرة أوصى بكتاب الله ـعز وجلـ في حجة الوداع في خطبته العظيمة أوصاهم بالكتاب، وفي غدير خم كما عند مسلم أوصاهم بالقرآن، ومعلوم أن الوصية بالقرآن وصية به وبكل ما أوصى به القرآن، فيدخل الوصية بالكتاب الوصية بالسنة، بسنة النبي ـعليه الصلاة والسلامـ وسيأتي الكلام على هذا، إذاً الأصل أيها الإخوة التمسك بالكتاب، وأن نفهم كلام الله ـعز وجلـ، وأن نعتقد ما فيه على فهم سلف الأمة جمع النصوص، الأخذ

بظواهرها وعدم التأويل، وعدم رد الظاهر إلا بدليل صحيح صريح، وهكذا ولا نرد الكتاب بعقولنا القاصرة، ولا نترك العمل بالكتاب لقول من قال: إن الكتاب لا يوافق العصر الحاضر وأن الكتاب لا يوافق اجتماع الأمة كما يقول بعضهم: اقرؤوا القرآن ولا تخوضوا في تفسير السلف، لا تخوضوا فيه بأخذ آراء السلف، ولهذا أهدروا كثيرا مما جاء في القرآن والسنة.

فالواجب أيها الإخوة أن نتمسك بالقرآن الكريم عملا وعلما، واعتقادا وانقيادا، من أراد سبيل النجاة وطريق النجاة عليه بالقرآن العظيم والسنة الثابتة عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ، لكن بشرط أن تكون على فهم السلف الصالح وعلى طريقتهم، جمع النصوص، الأخذ بظواهرها، وعدم رد النصوص، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، وعدم التأويل إلا إذا ورد دليل صحيح صريح يدل على ذلك، كما هو معلوم، بل وللأسف يوجد الآن من الطوائف من تقول: إن اعتقاد ظاهر النصوص كفر بالله ـعز وجلـ يعني إذا اعتقدت ظاهر القرآن والسنة فإنك تكفر، ولهذا يقولون: من قرأ قوله مثلا قوله ـعز وجلـ : ﴿ ÇÎÈ 3 qçG÷ƒ$Ä ©!$# ¨,ym ãNßgs9 ﴾ [طه: ٥]

وش نفهم من هذه الآية؟ ما ظاهرها؟ نحن عرب، الله خاطب العرب بلسانهم، ﴿ ÇÏÈ ¨bÎ) ©!$# ¨,ym ãNßgs9 ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

فمعلوم أن الاستواء في كلام العرب يدور على أربعة أشياء، علا واستقر وصعد وارتفع، هذه المعاني المعروفة فلو بحثت في دواوين اللغة المتقدمة وكلام العرب المتقدمين لوجدت أنها تدور على هذه الأربعة، لكن ما دام أنها تدور على هذه الأشياء الأربعة فظاهرها أن الله ـعز وجلـ استوى على العرش يعني علا على العرش، وارتفع على العرش، هذا ظاهرها، وهم يقولون: إن اعتقاد ظاهر النصوص كفر، ويوجد من الطوائف من تقول: إن من قال إن الله مستوى على عرشه بذاته فإنه يكفر كفرا يخرج عن دائرة الإسلام، هذا من أين أخذناه؟ نحن لم نأت بشيء من عند أنفسنا، هذا هو ظاهر النصوص ﴿ ÇÎÈ 3 qçG÷ƒ$Ä ©!$# ¨,ym ãNßgs9 ﴾ [طه: ٥]

والقرآن لا يخاطب العلماء، إنما يخاطب جميع المكلفين، فهو نذارة وبيان لمن بلغ، كل من بلغه القرآن، إذا كان له معان أخرى غامضة، فكيف يخاطب الناس بهذا القرآن والنبي ـعليه الصلاة والسلامـ يأتيه العالم، ويأتيه غير العالم، يأتيه المستوطن في البلد، يأتيه الأعرابي من الصحراء، ويقرأ عليهم القرآن ويبين لهم النصوص ولم يقل في لفظ واحد ـعليه الصلاة والسلامـ لا تعتقدوا ظواهر الكتاب والسنة، أبدا، إذاً هذا هو الواجب أن نأخذ بالنصوص وعدم رد النصوص لمجرد الهوى، أو إن العقل لا يقبل هذه الأشياء، أي عقل، العقول متفاوتة، ولكن العمدة بالكتاب والسنة والحرص على طريقة السلف خاصة نحن في زمان كثر الأدعياء وكثر المتخاذلون عن منهج السلف الصالح، وكثر من يظن بهم أنهم على العقيدة السلفية والمنهج السلفي وهم ما عرفوا لا العقيدة السلفية ولا المنهج السلفي حق المعرفة، فالواجب التمسك بالكتاب كما أوصى المؤلف هنا، وأخذ الكتاب بقوة، خذوا الكتاب بقوة ما يؤخذ بلين وضعف، لأن نجاتك وفلاحك وفوزك في الآخرة وسعادتك في الدنيا، أخذ القرآن بقوة، أخذ ما في الشريعة بقوة، وعدم التخاذل والتهاون في أخذ هذه النصوص وفهم هذه النصوص، وعدم تمييع الدين لأجل أهواء أو لأجل مقاصد تخالف المقاصد الشرعية.

ثم قال: « تمسك بحبل الله واتبع الهدى » والمقصود بالهدى هنا العلم، فإن الله ـعز وجلـ قد أرسل جميع الرسل بالعلم النافع والعمل الصالح كما قال ـعز وجلـ: ﴿qèÈ ¼çm¯Rr& ¨bÎ) ©!$# ßÌè¢Á9$# ÏM»t6Íh‹ÏiB ÏM»¨Zy_ ÏQöqs)ø9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ¨bÎ) ©!$# ¨@ÏJ»yèø9$# ¨@ÏJ»yèø9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»t6Íh‹ÏiB ÏM»¨Zy_ ÏQöqs)ø9$# ¼çm¯Rr& qèÈ﴾ [التوبة: ٣٣]

فقوله: ﴿¼çm¯Rr& ¨bÎ) ©!$# ¨@ÏJ»yèø9$# qèÈ﴾ رسوله هذا مفرد مضاف فيشمل جميع الرسل، جميع الرسل أرسلوا بالهدى ودين الحق، وأعظمهم نبينا ـعليه الصلاة والسلامـ وشريعته أعظم الشرائع، ودينه خاتم الأديان وناسخها، فلا دين بعد بعثته إلا من طريقه ـعليه الصلاة والسلامـ ولا يجوز أن يعتقد شيء آخر بعد بعثته ـصلى الله عليه وسلمـ ولهذا جاء في الصحيح أنه ـعليه الصلاة والسلامـ قال: « والذي نفسي بيده لا يسمع بي

أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من حطب النار» مع أن اليهود والنصارى أهل شرائع ولهم كتب ولهم رسل، ولكن هو خاتم النبيين ورسالته _عليه الصلاة والسلام_ عامة وكافة، وناسخة لجميع الشرائع، ومهيمنة على جميع الشرائع، وهي أكمل الشرائع وأعظمها، ولهذا أعظم الهدى جاء به نبينا _عليه الصلاة والسلام_ وإن كان جميع الرسل جاءوا بالهدى، وجاءوا بدين الحق، لكن أعظمهم هو نبينا _عليه الصلاة والسلام_، وأعظمهم شريعة شريعة محمد _صلى الله عليه وسلم_، ولهذا الهدى يراد به العلم النافع، ويدخل في العلم النافع الكتاب والسنة، بل هي العلم النافع، العلم النافع الكتاب والسنة، وكل شيء لا يرجع إلى الكتاب مما يتعبد به الإنسان ويدين به لله _عز وجل_ فإنه ليس بعلم، ولهذا العلم في نصوص الكتاب والسنة إذا أطلق، يعني إذا جاء العلم في الكتاب والسنة، أو جاء مدح العلم، أو مدح العلماء فلا يراد به إلا العلم الشرعي، ولا يراد به إلا العلماء أهل الكتاب والسنة، علماء الشرع، أما العلماء الذين يتخصصون في علم الدنيا فلابد من التقييد يقال: عالم في الزراعة، عالم في كذا لابد من التقييد، علم فيزياء، علم أحياء، علم كذا، لكن علم هكذا يطلق فإن النصوص إذا جاء فيها الإطلاق، وهي ما جاءت إلا مطلقة فإنه يراد به العلم الشرعي العلم الذي به حياة القلوب ونجاتها وفلاحها، وسعادتها، ورفعتها، وفوزها، كذلك العلماء إذا ذكروا في الكتاب والسنة المراد بهم هم علماء الشرع، العلماء بالكتاب والسنة، ولاشك أن علماء الشريعة وعلم الشريعة هو أعظم العلوم وأنفعها، وإن كان علوم الدنيا مطلوبة وقد تكون من فروض الكفايات فلا ينبغي للأمة أن تتخلى عن العلوم التي ترفع مقامها ومكانتها، وتحمي حماها، وتبلغ شرعها، مطلوب هذا، ولكن أعظم العلم وأساس العلم هو العلم الشرعي، وهو الهدى الذي قال الله _عز وجل_ فيه: (ÈÏÈ ÏÎÊÒÈ ÌÓÈ ÌÈÊÈ ÌÈÊÈ ÌÈÊÈ) يعني بالعلم النافع (ÈÏÈ ÏÎÊÒÈ) يعني العمل الصالح، ولا شك أن التمسك بالحبل، بحبل الله والتمسك بالهدى أن معناهما متقارب، هذا وهذا، قال: «ولا تك بدعيا » هذه الوصية الثالثة، فإن من لم يعظم

الكتاب والسنة ومن لم يعتمد على الكتاب والسنة في علمه وعمله فلاشك أنه سيعتمد على غير الكتاب والسنة ويحدث في دين الله ـعز وجلـ ما ليس منه، ويتعبد لله ـعز وجلـ بما لم يشرعه، ويستحسن أشياء يظنها تقربه إلى الله ـعز وجلـ والبدع لا تقرب إلى الله ـعز وجلـ، من أراد أن يتقرب إلى الله ـعز وجلـ وأن يكون في المنزلة العظيمة فعليه بالتعبد لله ـعز وجلـ والتقرب إليه بما شرع، لا بالبدع والمحدثات، فالحذر الحذر من كل ما يخالف عقيدة أهل السنة، سواء في الاعتقاد أو في المنهج أو في العمل أو في غير ذلك، فالبدع خطرها عظيم، وشرها كبير، ولهذا النبي ـصلى الله عليه وسلمـ حذر منها مرارا وتكرارا، بل جاء في حديث جابر في صحيح مسلم أنه كان يقول كثيرا على المنبر يوم الجمعة إذا حمد الله وأثنى عليه قال: « أما بعد. فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ـصلى الله عليه وسلمـ، وشر الأمور محدثاتها » انظر هذا الحديث جاء فيه ما ذكره المؤلف من الوصايا، فإن خير الحديث ماذا؟ كلام الله، وهذا تمسك بحبل الله، وخير الهدي هدي من؟ محمد ـعليه الصلاة والسلامـ ولهذا قال المؤلف: « واتبع الهدى » ثم قال ـعليه الصلاة والسلامـ: « وشر الأمور محدثاتها » قال: ولا تك بدعيا، لأن ما هناك، إما أن يكون سنيا، وإما أن يكون بدعيا، إما أن يكون صاحب سنن وإما أن يكون صاحب بدع، ولا يقال عنه إنه مبتدع إلا إذا استبدل السنن، أو جاء بأشياء لم تشرع، ولهذا من أحيا بدعة فقد أطفأ سنة، يحذر الإنسان من البدع وأهلها، ولا يخالط المبتدعة إلا على سبيل المناصحة، وإقامة الحجة عليهم، أما كما يقول بعضهم: ينبغي أن تجمع الأمة على ما هي عليه، أن تجمع في أدنى قدر مشترك بينهم، ولهذا يجمعون بين طوائف ضالة مع أهل السنة والجماعة بحجة أنهم جميعا من أهل القبلة وأنهم تحت دائرة أو مسمى الإسلام، هذا ليس بصحيح، أهل البدع شرها خطير، والمبتدعة شرهم عظيم، فمجالستهم والأنس بهم هذا يؤثر على القلوب، لكن ليس معنى هذا أن الإنسان لا يناصحهم، ولا يلين معهم في القول إذا رجا الرجوع إلى الحق منهم، فلكل مقام مقال، والرفق ما كان في شيء إلا زانه، لكن يجب أن يكون هذا الرفق مع بيان الحق، وإقامة

الحجة لا السكوت وترك الناس على ما هم عليه، ولهذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة » والبدع كلها شر، كلها بلاء، كلها خطر، ولهذا قال: « وكل بدعة ضلالة » وكل ظاهرة في العموم، كل بدعة ضلالة، ومن يقول: إن البدع منها ما هو ممدوح ومنها ما هو مذموم، هذا غلط ومصادمة للنصوص، النبي ـعليه الصلاة والسلامـ يقول: « كل بدعة ـ ماذا ؟ ـضلالة » وكل هذه من ألفاظ ماذا؟ العموم، فهي ظاهرة في العموم، فلا يجوز لأحد أن يرد أو أن يخص هذا العموم إلا بدليل، ولا دليل، كل بدعة ضلالة، فحكم على البدع بأنها ضلالة، فالذي يقول: إن البدع منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، معنى هذا أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ أوهم المخاطبين، وجعل البدع من هذا القبيل، والذي يحتجون على عموم هذا اللفظ هم إما أن يكونوا قد احتجوا بأدلة ليس لهم فيها متمسك، مثل قول عمر ـرضي الله عنهـ لما رأى الناس جمعهم على إمام واحد في صلاة التراويح قال عمر: نعمت البدعة، وقوله: نعمت هذا من صيغ المدح أو من صيغ الذم؟ المدح، نعمت البدعة، فقالوا: عمر يقول عن صلاة التراويح: نعمت البدعة، فجعل من البدع ما هو ممدوحا ومحمودا، وش الجواب؟ يقال: إن البدع قد يراد بها البدعة الشرعية، وقد يقال بها البدعة إيش؟ من جهة اللغة، فعمر ـرضي الله عنهـ قوله هنا: نعمت البدعة من جهة الشرع أو من جهة اللغة؟ من جهة اللغة، وش الدليل؟ يقال: إن صلاة التراويح أول من فعلها من وجمع الناس؟ النبي ـعليه الصلاة والسلامـ بل كانت موجودة، فكان الرجل يصلي وحده، وكان الرجل يصلي بصلاة الرجل، وكانت الجماعة تصلي بصلاة، لكن كانوا أشتاتا، هذا يصلي وحده، وهذا يصلي معه مجموعة، في أصلها مشروع موجود، والنبي ـعليه الصلاة والسلامـ صلى التراويح، وصلى معه جمع من الصحابة، الليلة الأخرى كثر الجمع، ثم اكتظ المسجد بأهله فلم يخرج ـعليه الصلاة والسلامـ عليهم، وقال: لقد علمت مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا، وش الذي منعه؟ خشية أن تفرض فلا يطيقون ذلك، فلما توفي النبي ـعليه الصلاة والسلامـ استقرت الشريعة، لا

يمكن أن يفرض شيء، ولا يمكن أن ينسخ شيء، استقرت بموته ـعليه الصلاة والسلامـ فجمعهم عمر وقال: نعمت البدعة من جهة اللغة، أما من جهة الشرع فهي موجودة، وإما أن يتمسكوا بأشياء ليست من البدع، وإنما هي من المصالح المرسلة، يقولون مثلا: تنقيط القرآن، النقط على القرآن جمع القرآن، وضع اللغة العربية، أشياء كثيرة هذه ليست من البدع، هذه من المصالح المرسلة، والمصالح المرسلة بينها وبين البدع فروق كثيرة لكن لعلي أذكر فرقا واحدا في هذه العجالة.

الفرق بين البدعة وبين المصالح المرسلة أن البدعة مقصودة في ذاتها، مثلا: الذي يحيي ليلة المولد أو ليلة النصف من شعبان، أو يأتي بصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب، أو غير هذه من البدع، الآن حينما يأتي بصلاة الرغائب هل الصلاة مقصودة لذاتها أو وسيلة لغيرها، هو يتعبد بها أو يتوسل بها إلى عبادة؟ يتعبد بها، ويصلي صلاة تسمى الرغائب، يحيي ليلة المولد، إحياء ليلة المولد هو يتعبد بها ويتقرب أو لا؟ يتقرب، إذاً هذه جعلها عبادة، إذاً هي بدعة، لأنه يتعبد بشيء ليس بعبادة، لكن وضع النقط على حروف القرآن، تشكيل القرآن، طباعة القرآن، وضع قواعد في اللغة العربية، وضع قواعد في أصول الحديث، في أصول الفقه، هل هذه مقصودة لذاتها أو وسائل لغيرها؟ حينما ندرس اللغة العربية، نحن نتعبد بها أو نتعبد بما نصل إليه إلى الشريعة وفهم الشريعة؟ إذاً الفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة أن المصلحة المرسلة ليست عبادة هي في ذاتها بل هي وسيلة إلى غيرها، أما البدعة فهم يتعبدون لله ويتقربون إلى الله بها ـواضح يا إخوانـ هذه من أهم الفروق وإلا هنا فروق أكثر لكن الوقت لا يتسع في هذه العجالة أن نطيل فيها.

ثم ذكر الثمرة لمن أخذ بهذه الوصايا قال: « لعلك تفلح » والفلاح كما قال العلماء علماء اللغة، قالوا: إن من الكلمات التي تجمع خيري الدنيا والآخرة، كلمة فلاح جمعت خيري الدنيا والآخرة، سعادة الدارين، نجاة الدارين، علو الدارين، جمعته كلمة الفلاح، ولاشك أن أعظم المفلحين هم أهل الإيمان الذين تمسكوا به بعد الأنبياء والرسل،

هم أعظم الناس فلاحا، الأنبياء والرسل هم أعظم الناس فلاحا، ثم على حسب التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع، ولكن من أخذ بهذه الوصايا فهو مفلح، الله _عز وجل_ ذكر من صفات أهل الإيمان أنهم أهل فلاح ﴿7 ÍŸrés ÑÎ7Ïès `B "Ìx. 4?ã 7 ÍŸrés ÇÎÈ šc qè?ÏŠ$t6Ïè øÎ) Ïm÷ÈÞ‘9$# ÏM≈tƒÏ‰ôϹ Ïm÷ƒy‰Ï≈s9Î)

الغريب اليوم يمكن قرأتم مثل هذه المقالات من يقول: إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا بكفار، طيب وش يكونوا إذاً؟ هل يكونوا مسلمين، يقول: لا، وليسوا بمسلمين، ليسوا بكفار وليسوا بمسلمين، وش يكونون إذاً؟ قال: لا نقول عنهم كفار، نقول: غير مسلمين، غير إيش؟ غير مسلمين، غير مسلمين هذه هذا مصطلح جديد، فإذا جاء إنسان ليس على نهج أهل السنة نقول: هذا ليس بسني وليس ببدعي، وش هو؟ غير سني، هذا ليس بموظف وليس بعاطل، وش هو؟ غير موظف، يا إخوان هذه الألفاظ التي قيلت تكون من أحد رجلين، إما من رجل جاهل ما يعرف دلالات النصوص ولا يعرف عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يعرف القواعد التي أصلها العلماء وأوضحوها، وإما أن يكون صاحب غرض، صاحب هوى، يريد أن يجعل الأمة في اضطراب، على كل حال الدين إما أن يكون دين حق أو دين باطل (ÇÈ šc ráÿ» 6 ¤$¨Z9 ¨Ò ÇÈ wÎ) ÇÈ brßÎ) $B إلى أن قال في آخر السورة (ÇÈ ÉÎ/ ’Îû ÇÚöF{$# ÇÚöF{$#) [الكافرون: ١- ٢] [الكافرون: ٦]

هذا له دين وهذا له دين، لكن أنت إذا أردت أيها السني أيها السلفي إذا أردت النجاة دن بكتاب الله، اعتقد بما فيه، واعمل بما فيه، وتمسك بما فيه.

قال: « والسنن التي أتت عن رسول الله تنج وتربح » تمسك بالسنن السنن هي الطريقة، والمقصود بها ما جاء عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ من قول أو عمل أو تقرير، فمعلوم أن السنة إما أقوال وإما أفعال وإما تقرير، كلها سنة، فتمسك بالكتاب وتمسك بالسنة، ومعلوم أنه لا كتاب إلا بسنة، ولا سنة إلا بكتاب، فهما متلازمان، من قال: نؤمن بالقرآن ولكن السنة لا نؤمن بها، هل ينفع إيمانه بالقرآن؟ ما ينفعه، لأنه مكذب للقرآن الله يقول ـعز وجلـ في آيات كثيرة (ÇÚöF{$# ÇÚöF{$#) [الحشر: ٧]

وقال ـعز وجلـ: (ÇÚöF{$# ©!$# ÇÚöF{$#) [التغابن: ١٢]

فجعل للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ طاعة مستقلة، لأنه ـعليه الصلاة والسلامـ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهو معصوم ـعليه الصلاة والسلامـ فلا يمكن أن يبلغ عن الله ـعز وجلـ ما ليس من شرعه فلابد من هذا وهذا، ولهذا وجدت طائفة تسمى بالقرآنيين هي موجودة إلى اليوم، يقولون: نأخذ بالقرآن أما السنة فلا نأخذ بها، ولا نعتمد عليها، ولاشك أن هؤلاء ضلال، وإذا قالوا: نرد السنة ولا نعتقدها فقد كفروا، ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ـرحمه الله تعالىـ رسالة في كفر من أنكر السنة وردها، وهي رسالة عظيمة جمع فيها الشيخ نصوصا كثيرة ونقولا عظيمة عن الكتاب والسنة وعن سلف الأمة فلابد من تعظيم السنن عن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ، ابن عمر ـرضي الله عنهماـ حدث مرة فقال: إن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ قال: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال ابنه بلال، والله لنمنعهن، بلال قال هذا متأولا لأنه رأى أن النساء قد تغيرن في وقته، فغضب ابن عمر وقال: أقول لك قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ لا تمنعهن، وتقول: والله لنمنعهن، فسبه سبا ما سبه مثله قط، وهجره، حتى توفي ابن عمر وهو هاجر لابنه بلال، قد ذكر الحافظ في الفتح أنه توفي بعد هذه الحادثة بشهرين، ومعلوم أن هجر المبتدعة ليس له حد، الهجر إذا كان من أجل الدنيا حده ثلاثة أيام، حتى يزول ما في النفوس، أما الهجر من أجل مصلحة إذا كان هناك مصلحة فليس له حد، هجر كعب وصاحباه خمسين ليلة، فالهجر إذا كان هناك مصلحة شرعية فليس له حد، ثم قال: « أتت عن رسول الله تنج وتربح » من تمسك بالكتاب والسنة نجا، وربح، يعني أمن المرغوب وحصل المرهوب، المرهوب تنجو منه، والمرغوب تحصله، ولاشك أن الناس في حياتهم إما لا يسلموا من العقاب أو يقصر عنهم شيء من الثواب، ولهذا حتى أهل الجنة وهم أهل الجنة يتفاوتون في درجاتهم، وأهل النار وهم أهل النار يتفاوتون في دركاتهم، بل إن بعض أهل الإيمان من الموحدين قد يمكث في النار دهرا، ولكنه لا يخلد خلود الكافرين ويخرج، لكن من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما ودان ما فيهما فإنه لاشك ينجو من المرهوب ويحصل المرغوب.

ثم قال: « وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء وأفصحوا » قل أيها السلفي، قل أيها السني الذي يرجو النجاة، قل: إن كلام الله ـعز وجلـ غير مخلوق، ولعل ذكر هذه المسألة الأولى بعد هذه الوصايا لأمرين:

الأمر الأول: المناسبة بين الأمر بالتمسك بالكتاب، لأنه ذكر التمسك بالكتاب، فأراد أن يبين ما هو الكتاب هذا؟ وما الذي يجب عليك أن تعتقده فيه؟ فلعله بدأ ما يتعلق بالقرآن للمناسبة، لذكره فيما سبق.

والأمر الثاني: ـوالله أعلمـ أنه ذكره لأن المسألة هذه وهي مسألة القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ من المسائل العظيمة التي كثر فيها الخوض ولم يوافق أهل السنة أحد من أهل البدع، يعني مثلا: مسألة الرؤية كما سيأتي تجدون أن الأشاعرة وافقوا أهل السنة في ماذا؟ في إثبات الرؤية وإن خالفوهم في مسألة الجهة، لكن في مسألة القرآن لم يوافق أهل السنة أحد من أهل البدع فكلهم يقولون بماذا؟ بأقوال تخالف الحق، فلهذا هذه المسألة كثر فيها الخوض، وكثر فيها الكلام وتجدون أنه ما من أحد تكلم في العقيدة إلا ونص على هذه المسألة، وارجعوا إلى المطولات، فمثلا: صاحب شرح الطحاوية لابن أبي العز، ذكر نقولا كثيرة عن السلف وذكر أقوال المخالفين، وأوصلها إلى تسعة أقوال، وذكر أدلتهم وذكر الردود عليهم، المقصود أنها مسألة عظيمة، ذلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام.

والقرآن اعتقاد أهل السنة والجماعة هو كلام الله ـعز وجلـ، كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة كلام الله تكلم به حقيقة، تكلم به منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه تكلم به بحرف وصوت، كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة والأدلة تدل على ذلك ، قوله هنا: « وقل غير مخلوق كلام مليكنا » هذا يشير إلى أن هنا من قال إن كلام الله مخلوق، وهناك من يصرح بهذا وهم الجهمية والمعتزلة، هذا صريح

عندهم، يقولون: القرآن، بل كلام الله ليس بصفة من صفاته، بل هو خلق من سائر مخلوقاته، تجدون أن الزمخشري وهو لاشك ممن يتزعم هذا القول، وهو ممن أخذ بهذا القول، جاء باعتزالية كثيرة في كتبه، ومنها الكشاف، تجدون أنه يدس هذه الأفكار في الألفاظ التي يأتي بها عن القرآن، وأذكر مما ذكره في القرآن لما تكلم عن القرآن وعظم القرآن، والقرآن كذا وكذا، ولن تجد كتابا يدل على الحق، وإلى آخره كلمات عظيمة، ثم ختمه بقوله: فتبارك الله أحسن الخالقين، وش معنى هذا؟ وش المناسبة بين القرآن وبين الخلق، فتبارك الله أحسن الخالقين، يعني أن القرآن إيش؟ أنه مخلوق، وهم يصرحون بهذا تصريحا، يقولون: كلام الله مخلوق، هذا الكلام مخلوق، القرآن مخلوق، وأظهروا هذه البدعة في عهد المأمون في زمان الإمام أحمد، أظهروا وامتحنوا الناس في القول بها، وابتلي أهل السنة في ذلك العصر، فمنهم من تأول، ومنهم من فتن، ومنهم من قتل وعذب، ومنهم من ثبت وهم قليل، ومن أعظمهم ثباتا في تلك المحنة الإمام أحمد ـرحمه اللهـ ولهذا أهل السنة لما انكشفت غمة أهل البدع حرصوا على إظهار العقيدة وعلى بيانها، وعلى الرد على المخالفين، ولهذا ذكر ابن أبي داود هنا التحذير من فتنة خلق القرآن، بل هنا قوله هنا: « وقل غير مخلوق كلام مليكنا » فكلام الله ـعز وجلـ أعم من القرآن، القرآن ليس هو كلام الله كله، بل هو بعض من كلام الله ـعز وجلـ وإلا كلمات الله ـعز وجلـ لا تنفد ولا تنتهي ﴿ ‰ÿZ9 'Îî ÏM»J‹3Ï #Š#‰Ï ãÁ 7Ÿ2Ÿ$b%. ÏQ©@è ﴾ [الكهف: ١٠٩]

فالقرآن يقال كلام الله بلا شك، كلام الله لكن كلام الله ـعز وجلـ ليس له حد وليس له نهاية، يتكلم، لم يزل متكلما، يتكلم بما شاء كيف شاء، فالتوراة من كلام الله، الإنجيل من كلام الله، القرآن من كلام الله، الله كلم الملائكة، كلم آدم، سيكلم الناس في العرصات، « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ـعز وجلـ » فهم يقولون: الكلام مخلوق، ومن جملة كلامه القرآن، يقولون: مخلوق، ولاشك أن الكلام صفة من صفات

الله ـعز وجلـ، الكلام صفة من صفات الله ـعز وجلـ، من الصفات الفعلية ومن الصفات الذاتية، الكلام من الصفات الذاتية والفعلية.

قوله هنا: « قول مليكنا » فمن أسماء الله ـعز وجلـ المليك، ومن أسمائه الملك، كما قال الله ـعز وجلـ: ﴿ ÇÍÎÈ ©!$# ¨bÎ) ãNèd ßìÎ=ôÜè? ÏM»t6ÍhŠsÙ ÏÌÎ/ ﴾ [القمر: ٥٥]

فمن أسمائه المليك ـعز وجلـ، وهنا قال: « كلام مليكنا » ومعلوم أن الإضافة تأتي على نوعين، إضافة معان، وإضافة ذوات وأعيان، المعاني ما هي المعاني؟ المعاني هي التي لا تقوم بذاتها، ولا تنفك عن الموصوف، هذه نسميها معانيا، وأضرب مثالا: الآن أليس كل منا له سمع وله بصر، عنده رحمة، عنده رأفة، له غضب أو لا؟ الآن لو قيل مثلا نقول: سمع فلان، أليست هذه إضافة؟ هذه إضافة، لكن السمع الآن معنى أو ذات منفصلة قائمة بنفسها، وش معنى معنى؟ المعنى هو الذي لا يمكن أن ينفصل عنك، هل يمكن أن تقول مثلا: أنا اليوم سمعي تركته في البيت، أو تقول مثلا: رحمتي تركتها في البيت، ما تنفصل لأنها تكون إيش؟ ملازمة للموصوف، فيسميه إيش؟ معان، المعاني هذه قاعدة، إضافة المعاني قاعدة عامة، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، هذا ما في إشكال، أما الذوات التي هي الأعيان فهذه على تفصيل، إن كانت تقوم بذاتها، مثل الآن: أليس الكأس هذا أليس هو ذات؟ ذات، منفصل قائم بنفسه أو لا؟ هل هو ملازم للشارب دائما أو ينفصل؟ ينفصل، إذا قلت: هذا كأسي، أضفته إلي، أو لا؟ لكنه منفصل الآن، فهل يقال: إنه صفة لي أنا، أو يقال: إنه الآن منفصل قائم بذاته؟ فيكون من باب إضافة المملوك إلى مالكه أو لا؟ وبالنسبة للرب ـعز وجلـ إذا قيل: ناقة الله، بيت الله، البيت والناقة منفصلة أو لا؟ قائمة بذاتها، وش نقول؟ من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، لكن إذا كانت الذات لا يمكن أن تنفصل وتقوم بذاتها، وش تكون هذه؟ إذاً الإضافة إما أن تكون إضافة معان، وإما أن تكون إضافة أعيان وذوات، إذا كانت من باب إضافة المعاني وش تكون؟ في تفصيل أو بدون تفصيل؟ بدون تفصيل، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أما إذا كانت من باب إضافة الذوات، الأعيان، فهذه فيها

تفصيل، إن كانت تقوم بذاتها، تنفصل وتقوم بذاتها، فلا تكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، إما أن تكون من إضافة المملوك إلى مالكه هذا في البشر، أو إضافة المخلوق إلى خالقه ومالكه هذا بالنسبة لله ـعز وجلـ، فإذا قال الله ـعز وجلـ مثلا: ﴿ ÇÌÈ ÏM»tƒÏŠ ÏNºuqyèø9$# ﴾ [قريش: ٣]

﴿ ÇÏÈ $¯RÎ) ãNèdqßJçGø‹tƒ ÏM»t6ÍhŠsÙÎ/ ÏM»uŠÏ¹uqø9$# ﴾ [الشمس: ١٣]

الإضافة الآن إضافة ماذا؟ ذات، لماذا؟ لأن البيت منفصل، ولأن الناقة منفصلة، واضح، ﴿ ÇÏÈ ¨bÎ) ©!$# ¨@ÏJtã ¨bÎ) ©!$# ¨@ÏJtã ﴾ [الزخرف: ٦٨]

أضاف العباد إلى نفسه منفصل بذواتهم؟ نعم. إذاً من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، أما إذا كان لا يمكن أن ينفصل، وأن يقوم بذاته فهو أيضا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل: يد الله، اليد هذه هل تنفك عن الموصوف؟ لا، وهي أيضا ذات، لهذا العلماء يقولون: من الصفات الذاتية وجعلوها صفات، فتكون من باب إيش؟ الصفات الذاتية، تكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، ما أدري هذا واضح أو لا.

سؤال: الفرق بين الذوات، والأعيان، هذه ذوات خاصة مثل يد الله، ومثل السمع؟

الجواب: السمع غير محسوس، ولا يمكن أن ينفصل، أما الأعيان والذوات سمي عينا لأنه الغالب أنه يرى بالعين، وذات يعني له جرم محسوس.

يقول: « بذلك » يعني القول بأن القرآن كلام الله صفة من صفاته وأنه ليس بمخلوق هذا كلام دان به من وقال به من؟ قال: « بذلك قال الأتقياء وصرحوا » من هم الأتقياء؟ هم المتمسكون بالكتاب والسنة، هم النابذون للبدع والمحدثات، لأن وصف التقوى مأخوذ من الوقاية، أن تجعل بينك وبين عذاب الله ـعز وجلـ وقاية، وعذاب الله ـعز وجلـ وش يكون عليه؟ على المخالفة سواء في الاعتقاد أو في العمل، فترك ما في الكتاب والسنة أو الأخذ بالبدع فيه نقص التقوى، لكن المتقي هو الذي يجعل بينه وبين عذاب الله

وقاية ولا تكون الوقاية تامة وكاملة إلا إذا استكمل هذه الأمور، « وصرحوا » أوضحوا هذا الاعتقاد وبينوه، ولهذا ينبغي لأهل الحق أن يصرحوا بعقيدتهم وأن يبينوها، وأن يوضحوها للناس، ولا يسكتوا أو يأتوا بعمومات تجعل ألفاظهم حمالات لمعان، أو تجعل الأمر ملتبسا، لا، يجب التصريح بالحق، حتى يتضح الحق، ويظهر الحق، وحتى يتبين للناس الحق، ولهذا صرحوا بهذه الأمور وأوضحوها وبينوها في كتبهم التي ألفوها، وفي محاضراتهم ودروسهم واجتماعاتهم كما هو معلوم وواضح.

يقول: « ولا تقل في القرآن بالوقف قائلا كما قال أتباع لجهم وأسجح » يقول: احذر أن تكون من الواقفية، هناك طائفة تسمى بالواقفة، كيف واقفة، يقولون: لا نخوض، كلام الله مخلوق أو غير مخلوق، يقولون: ما نقول شيئا، نقول: كلام الله، لا نقول: إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق، طيب: الله ـعز وجلـ له سمع، وله بصر، وله يد، وله وجه، إلخ، هل هذه بمعنى أنها صفات لله ـعز وجلـ أو أن لها معان أخرى، هل نقول: إن اليد يد حقيقية صفة، أو نقول: إنها القدرة والنعمة، يقولون: لا ما نقول شيئا، نسكت، يسمون هؤلاء الواقفة، لأنهم توقفوا، ولاشك أن هذا الوقوف فيه نجاة أو فيه هلكة؟ فيه هلكة، يعني بعض الناس يظن إن التوقف إنه دائما إيش؟ يكون فيه نجاة، لا أبدا، التوقف إذا لم يتبين لك الحق، أما إذا اتضح الحق وبان فيجب أن تقول، وأن تصرح، وأن تبين، وأن تعتقد، وأن تعمل، أما أن تقف مع بيان النصوص، ومع صراحتها ووضوحها، فهذا قد يكون بل يكون، بل هو أخطر ممن يتكلم باعتقاده الباطل، لأن الناس إذا تكلموا تبين أمرهم، إذا بينت ما عندك الآن من اعتقاد سليم يعرف الناس إنك على ماذا؟ على الحق والهدى، وأنك من أهل السنة، وأنك من أتباع السلف ومنهم، فإذا قلت إن القرآن مخلوق، أو إن أسماء الله وصفاته ليست حقيقية بل معناها كذا وكذا، يتبين للناس أنك مخالف لأهل السنة، ويعرفوا اعتقادك، ويتبين لهم ما تقول، وما تدعو إليه، فتفند هذه الأباطيل ويوضح للناس أن هذا الاعتقاد باطل، فلا يغتروا بهذا القائل بالباطل، لكن إذا سكت لبس على الناس، وهم لا يعرفون ما يعتقد حتى

يبينوا للناس ويحذروا الناس منه، ويقول: أنا ما أتكلم لأن الكلام والخوض في هذه الورع أن نترك القول، فيلبس على الناس إن القول بأنه كلام الله حقيقة قد يكون خطأ، فيقولون: من الورع أن نسكت ونكل الأمر إلى الله ـعز وجلـ، ولاشك أن التفويض في هذا يعتبر من الضلال، والواقفية ضلال، بل هم أشد خطرا من الجهمية الذين صرحوا وبينوا، ولهذا يقول الإمام أحمد: إن الواقفة هم من الجهمية، ولهذا نسبوهم إلى الجهمية، لأنه لو كان يعتقد الحق لبينه وصرح به، لأن صاحب الحق يبين ويصرح، هذه طريقته، لكن الذي لا يبين ولا يصرح، لاشك أن عنده شيئا مما يخالف الحق، وأن عنده اعتقاد يخالف الحق، ولهذا تجدون بعض الناس في مسائل مهمة تعج الآن بالمجتمع افترق فيها أهل السنة عن أهل البدعة، فتجد أنه لا يتكلم، أو يأتي بماذا بعمومات، لماذا؟ يقول: من باب الورع، فلا نقول بمسائل التكفير لا نفيا ولا إثباتا، ولا نقول بالبدع التي تخالف أهل السنة، ولا نقول بأي شيء، نسكت وأمرهم إلى الله، هذا خطأ مادام الإنسان يستطيع أن يبين وأن يرد، وأن يوضح فهذا أعظم أنواع الجهاد، بل قال ابن القيم: أعظم أنواع الجهاد هو جهاد الرسل، وجهاد العلماء بعدهم، لأن هذا الجهاد الذي لا ينقطع أبدا ولا ينتهي، بل إن الله أمر به في مكة، وليس ثم جهاد بالسنان، الله أمر بجهاد الكفار والمنافقين أي جهاد هذا؟ جهاد الحجة والبيان والإيضاح، ولهذا قال: « كما قال أتباع لجهم وأسجح » هؤلاء ممن تأثروا بالجهمية، ولهذا وقفوا عن القول بأن القرآن كلام الله حقيقة، وأنه صفة من صفاته، ولهذا هم يعتبرون من الجهمية، وأسجح أسجع بمعنى أنه بذل وبين واعتقد ولان، أسجح يعني لانوا وبذلوا، فهم لانوا لهذا القول وأخذوا به وبينوه، وبذلوه، وصرحوا به، هذا هو شأن أهل البدع.

قال: « ولا تقل القرآن خلق قراءته فإن كلام الله باللفظ يوضح » هذه مسألة عظيمة أيضا وهي مسألة قول الإنسان: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، هذا مراده، لا تقل: ولهذا قال: « ولا تقل القرآن خلق قرأته » ولهذا ثبت عن الإمام أحمد أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: ليس بمخلوق فهو مبتدع، نبه المؤلف الناظم

إلى هذه المسألة، وهذه قاعدة عامة أن المسائل أو أن الكلمات التي يفهم منها معنى باطل ومعنى حق، يجب على الإنسان أن يسلك إحدى طريقتين، الأولى منهما أن يستبدلها بلفظة تؤدي معناها ولا تلتبس معها، مثلا: كلمة الآن إن الإنسان له عمله، وعمله منسوب إليه، العمل الذي تعمله الآن أليس هو منسوب إليك، أو لا؟ وإذا قلنا: كسبك منسوب إليك، المعنى صحيح أو لا؟ المعنى صحيح، بل جاء في القرآن ﴿ ßNöqyJø9$# ãNßgsù ãNèdur ßNöqyJø9$# ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

لكن جاء المبتدعة بعد ذلك واصطلحوا قالوا: يقال في مسألة عمل الإنسان إنه كسب وهذا مشهور عند الأشاعرة، الكسب، وش معنى الكسب؟ الكسب معناه الجبر الخفي، ولهذا الأشاعرة جبرية، يسمون هذا ماذا؟ كسبا، بمعنى أن الإنسان في ظاهر العمل أنه عمله، لكن هو في الحقيقة مجبور عليه، ولهذا ذكر العلامة ابن القيم في شفاء العليل فصلا في هذه الكلمة وذكر أن نفس هؤلاء اختلفوا في معناه إلى عشرين قولا، ولهذا إذا جئنا في كتب العقائد فتأتي بكلمة العمل، وتجتنب كلمة إيش؟ الكسب، لماذا؟ حتى لا تشترك معهم، أو يفهم أن مرادك ماذا؟ مراد المبتدعة، هذا أولا، ولهذا الله ـعز وجلـ ماذا قال: ﴿ ÏNqçGÅ¡ãÏ9 ÏNqçGÅ¡ãÏ9 ﴾ [البقرة: ١٠٤]

مع أن كلمة راعنا وكلمة انظرنا تؤدي إلى معنى واحد، لكن لماذا نهاهم ـعز وجلـ؟ لأن اليهود يستخدمون هذه الكلمة لمعان باطلة، فنهاهم أن يشركوهم في كلمة تدور على معنى حق ومعنى باطل، واضح، إذا لم يتيسر ما هناك كلمة أخرى فإنك تأتي بالتفصيل، ولهذا الألفاظ المجملة يجب أن نفصل فيها، إذا كانت تدور على حق وعلى باطل، يجب أن تفصل لأنك إذا أجملت ربما صاحب الباطل فهم من إجمالك أنك تريد المعنى الباطل، وربما فهم صاحب الحق أنك تريد المعنى الحق أو العكس أيضا، فالأمور أو الكلمات المجملة يجب أن تبين، الآن كلمة كلامي بالقرآن أو لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ يقول الإمام أحمد: إذا قلت إن لفظي بالقرآن مخلوق، فأنت جهمي لأنك قلت

بقول من؟ الجهمية، إذا قلت: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأنت مبتدع، لماذا؟ لأن المسألة هنا فيها إجمال، لأن اللفظ الآن أليس هو مصدر، لفظ يلفظ لفظا، مصدر هذا، ومعلوم أن المصادر قد تطلق على المعنى المعنوي لها، وتطلق على ماذا؟ على اسم المفعول، خلق الآن أليس مصدر؟ مصدر، خلق الآن تشمل ماذا؟ فعل الله، تقول: خلق الله، ومن صفاته الخلق، وش المقصود من صفاته الخلق؟ الذي هو الصفة الذي هو المعنى، وتقول: هؤلاء خلق الله، وش معناه؟ اسم المفعول، يعني مخلوقات الله ـعز وجلـ، واضح الآن، إذاً المصدر قد يراد به الفعل وقد يراد به اسم المفعول، فالآن إذا قلت: لفظي بالقرآن وش يحتمل؟ يحتمل كلام الله ـعز وجلـ، الحروف ويحتمل ماذا؟ ملفوظك الذي هو صوتك، حركة اللسان والصوت الآن، فالآن إذا قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؟ وش يحتمل؟ أن يكون ملفوظا، ويحتمل أن يكون يعني يحتمل أن يكون هو المعنى أو اسم المفعول، يحتمل أن تريد كلام الله، ويحتمل أن تريد إيش؟ ملفوظك أنت صوتك أنت الآن، فالآن إذا قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، يحتمل أن يكون أنك تريد كلام الله ـعز وجلـ فإذا قلت مخلوق، هذا هو قول الجهمية، فكلام الله غير مخلوق، وإذا قلت: لفظي بالقرآن ليس بمخلوق، احتمل أن يراد به ماذا؟ أن يراد به صوتك الآن، وحركة لسانك، وحركة الشفتين، ولاشك أن صوتك وحركة لسانك مخلوقة، إذاً ماذا تقول؟ تفصل، تقول: كلام الله غير مخلوق، وصوتي مخلوق، كما يقولون: القول قول الباري، والصوت صوت القارئ، القول هذا قول الباري ـعز وجلـ والصوت صوت من؟ القارئ، فيفصل في هذه المسألة لأن الأمور المجملة التي تدل على حق من جهة وعلى باطل من جهة السلامة أن تستبدل أو أن يؤتى بإيضاح وبيان حتى يجلي المعنى المراد وأنك أردت الحق، ولهذا قال: « فإن كلام الله باللفظ يوضح » ونقف هنا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

قال الإمام ابن أبي داود ـرحمه الله تعالى ـ في حائيته:

وقل يتجلى الله للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح
وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثلما قد قال في ذاك تنجح
وقد ينكر الجهمي أيضا يمينه ... وكلتا يديه بالفواضل تنفح
قل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول ألا مستغفر يلق غافرا ... ومستمنح خيرا ورزقا فيمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا
وقل: إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدما ثم عثمان الأرجح
ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير منجح
وإنهم والرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالخلد تسرح
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح

الشَّرْحُ:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فقال ابن أبي داود في حائيته، يقول: « وقل يتجلى الله للخلق جهرة كما البدر لا يخفى وربك أوضح » انتقل الناظم ـرحمه اللهـ إلى مسألة من مسائل الاعتقاد وهي

مسألة رؤية الرب ـعز وجلـ وهذه المسألة لم يوافق أهل السنة فيها إلا الأشاعرة، فإن الأشاعرة يثبتون الرؤية وأن الله ـعز وجلـ يرى، لكنهم اضطربوا وتخبطوا في هذه المسالة فقالوا: إن الله يرى لكن ليس إلى جهة، يرى لا إلى جهة، وهذا لاشك أنه غلط، هذا غلط فإن الرؤية لابد أن تكون إلى جهة، وهذه الجهة كما هو معلوم جهة العلو، فالله ـعز وجلـ يرى وهذه الرؤية أما من جهة الدنيا فلا أحد يرى ربه ـعز وجلـ يقظة، في حال اليقظة لا أحد يرى الله ـعز وجلـ ولهذا لما طلب موسى ـعليه الصلاة والسلامـ من ربه ـعز وجلـ أن يتجلى له، قال: إنك لن تراني وهذا النفي إنما هو نفي في دار الدنيا، متعلق في دار الدنيا، ولن معلوم أنها لا تفيد النفي مطلقا وأبدا، ولهذا يقول ابن مالك:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعبدا

فلن هذه لا تفيد النفي أبدا، ولكن لها أمد ولها حد على حسب السياق، والنبي ـصلى الله عليه وسلمـ في ليلة الإسراء والمعراج قيل له: هل رأيت ربك؟ قال: « نور أنى أراه؟! » فهو لم ير ربه ـعليه الصلاة والسلامـ لأن الرب ـعز وجلـ لا يمكن للمخلوق الذي خلق للزوال والموت والفناء أن يثبت لرؤية ربه ـعز وجلـ، ولهذا لما تجلى الرب ـعز وجلـ للجبل العظيم الصلب، جعله دكا، خر موسى صعقا، فلا يستطيع الإنسان الذي يعيش في دار الدنيا أن يتحمل ذلك، أما في الآخرة وفي الجنة فإن الله ـعز وجلـ يجعل أهل الجنة على صفة جاءت الأحاديث فيها، ويبقون في الجنة من أجل الخلد وليس من أجل الفناء، فحينئذ يرون ربهم ـعز وجلـ، والنصوص دلت على ذلك فأهل السنة يقولون: إن الله ـعز وجلـ يرى، هذا لا إشكال فيه والنصوص قد دلت على ذلك كما ذكر الناظم، ولهذا يقول في آخر هذا المبحث: « رواه جرير عن مقال محمد » يعني روى حديث الرؤية جرير بن عبد الله البجلي عن محمد، يعني عن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ في الصحيحين « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب، لا تضامون في رؤيته » ومعلوم أن الأحاديث كثيرة جاءت بهذا المعنى

عن جرير وعن غيره من الصحابة ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ والأدلة في هذا كثيرة في الكتاب والسنة، من ذلك قوله ـعز وجلـ: ﴿ÇÏÈ ÞÙÁÑ$R 7ÍBöqt ×Ïqã ã﴾ [القيامة: ٢٢]

من النضرة وهو البهاء والحسن والجمال ﴿ÇÌÈ ×ÎÏ3$R $Ïqt 4Ïj﴾ [القيامة: ٢٣]

وهذا هو الشاهد أنها تنظر إلى الله ـعز وجلـ وترى ربها، بل إن أعظم نعيم يحصله أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم ـعز وجلـ ولهذا قال ـعز وجلـ: ﴿ * ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R﴾ [يونس: ٢٦]

قد جاء في صحيح مسلم أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله ـعز وجلـ، وفي قوله ـعز وجلـ: ﴿ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R﴾ [الأنعام: ١٠٣]

يقول شيخ الإسلام في التدمرية: إن هذه الآية من أدلة رؤية الرب ـعز وجلـ لكنها رؤية بلا إحاطة، فلا يمكن أن تدركه الأبصار ولا أن تحيط به ـعز وجلـ، كما أننا نشاهد الآن القمر، ونشاهد الشمس، لكن لا نحيط بها، وأنت تراها، فكيف بالرب ـعز وجلـ ولهذا الإدراك أخص من الرؤية، فقد ترى الشيء ولا تدركه، ولهذا قال الله ـعز وجلـ عن موسى وقومه: ﴿ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R﴾ [الشعراء: ٦١]

وش معنى تراءى الجمعان؟ يعني أن بعضهم نظر إلى بعض ورأى بعضهم بعضا ﴿ÇÏÈ ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R ÞÙÁÑ$R﴾ فلو كان الإدراك هو الرؤية، كيف تراءوا ثم يقولون: إنا لمدركون، فالرؤية شيء والإدراك شيء، فالإدراك أخص، فأنت قد ترى الشيء، لكن لا يمكن، قد تراه لكن لا تدركه، ولاشك أن أهل الإيمان يرون ربهم ـعز وجلـ في عرصات القيامة ويرونه في الجنة، هذا جاءت به النصوص المستفيضة هذا بإجماع أهل السنة، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في العرصات ويرونه في الجنة، ولكن اختلفوا في غير أهل الإيمان من الكفار والمنافقين، هل يرون ربهم على أقوال ثلاثة، وعلى كل حال حتى لو قيل: إن الكفار والمنافقين يرون الله ـعز وجلـ فليس رؤية

المؤمن كرؤية المنافق، فإن رؤية المنافق والكافر لربه رؤية تلذذ أو حسرة وندم؟ حسرة وندم، ولهذا ابن القيم يقول: إن رؤية الكافرين والمنافقين لله ـعز وجلـ ليست رؤية لذة، والمنفي عنهم رؤية ماذا؟ اللذة، كما أنه جاء في النصوص من الكتاب والسنة أن الله لا يكلم بعض الخلق، حتى جاءت في أحاديث الوعيد « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة » إلى آخر الحديث، ومع هذا جاء في الصحيحين « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان » فالمقصود بالنفي هو نفي الكلام الذي يسرهم، ويسعدهم هذا هو المقصود والواجب هو الجمع بين النصوص فإن النصوص إذا جمعت اتضح المراد، أما بالنسبة لغير الأشاعرة كالجهمية والمعتزلة ومن أخذ بمذهبهم يرون أن الرؤية ممتنعة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فصحيح الرؤية البصرية، أما في الآخرة فالنصوص المستفيضة دلت على أن الله ـعز وجلـ يرى، وهم يكفرون يقولون: إن من قال بالرؤية فإنه يكفر، وهذا التناقض العظيم بين هذه الفرق، أهل السنة يقولون: إن الرؤية من أصول إيش؟ الاعتقاد، وهؤلاء يقولون: إن الرؤية من قال بها يكون من أصول إيش؟ الكفر، هذا تناقض، ولهذا الدعوى للتآلف والتقارب، ونجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه هذا جمع بين الحق والباطل، جمع بين الليل والنهار، بين الظلمة والنور، لا يمكن، لأنه يرى أن اعتقادك كفري، وأنت ترى أن اعتقاده كفري، فلا يمكن أن تجتمعوا إلا بماذا؟ حتى تتبع مذهبهم ونحلتهم، أو يتبعوا مذهبك ونحلتك.

والمعتزلة وإن انقرضوا من جهة الاسم ولكنهم من جهة الواقع موجودون، الرافضة هم على اعتقاد المعتزلة في هذا الباب، الخوارج على اعتقاد المعتزلة، هم يرون هذا كالإباضية يرون أن الرؤية مستحيلة، وغير ممكنة، وأن القول بها كفر، ويصرحون بهذا، ولكل قوم وارث، إما أن يرث جميع المعتقدات عند الجهمية أو يرث بعضا منها، ولهذا يقول: « وقل يتجلى الله للخلق جهرة » جهرة يعني ليس سرا، بل جهرة عيانا ظاهرا، « كما البدر لا يخفى وربك أوضح » كما أننا نرى البدر ونشاهد البدر في الأيام المبدرة ليست الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، إذا لم يكن هناك سحاب فإنه واضح

ظاهر، قد جاء في حديث جرير وما جاء في معناه « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » وهنا قوله: « كما البدر ليس المقصود هنا تشبيه المرئي بالمرئي، فإن في الحديث تشبيه للرؤية بالرؤية، قال: « إنكم سترون ربكم » يعني بأعينكم، « كما ترون البدر » كما أنكم ترون البدر بأعينكم فسترون ربكم بأعينكم، فالآن تشبيه ماذا؟ تشبيه الرؤية بالرؤية يعني كما أنك ترى القمر بعينيك سترى ربك بعينيك، إذاً هو تشبيه لأي شيء؟ الرؤية بالرؤية أما المرئي بالمرئي فلا، الله ـعز وجلـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فليس المقصود أن الله ـعز وجلـ كالبدر هذا لا يقوله مؤمن يؤمن بالله ـعز وجلـ واليوم الآخر، الله ـعز وجلـ (ÇÍÈ ÇÎÈ ÇÏÈ ÇÐÈ ÇÑÈ ÇÒÈ ÇÓÈ ÇÔÈ ÇÕÈ ÇÖÈ ÇØÈ ÇÙÈ ÇÚÈ ÇÛÈ ÇÜÈ ÇÝÈ ÇÞÈ ÇßÈ) [الشورى: ١١]

(ÇàÈ ÇáÈ ÇâÈ ÇãÈ ÇäÈ ÇåÈ ÇæÈ ÇçÈ ÇèÈ ÇéÈ) [الإخلاص: ٤] (ÇêÈ ÇëÈ ÇìÈ ÇíÈ ÇîÈ ÇïÈ ÇðÈ ÇñÈ) [مريم: ٦٥] المقصود أن التشبيه في الحديث تشبه ماذا؟ الرؤية بالرؤية يعني كما أنك ترى القمر بعينيك سترى ربك بعينيك، أما المرئي بالمرئي فلا، كما هو معلوم.

ثم قال: « وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبه تعالى المسبح » ذكر هذا البيت ولعله أراد أن يبين أنه وإن حصلت الرؤية أنك ترى الله ـعز وجلـ لكن انتبه أن تظن أن رؤية الله ـعز وجلـ فيها تشبيه بأي شيء بالبدر، يعني لا تظن أن قوله: كما البدر أن المقصود تشبيه المرئي بالمرئي، ولهذا نبهك على قاعدة عظيمة، في قوله: « وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبه تعالى المسبح » وهذه قاعدة عامة أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ويجب على المؤمن أن يعرف هذا الأصل العظيم في باب الأسماء والصفات بل وفي غيره أن الله ـعز وجلـ ليس كمثله شيء، ولهذا وإن اتفق مع الخلق في اللفظ وأصل الصفة أصل المعنى لكنه من جهة الحقيقة والكيفية (ÇòÈ ÇóÈ ÇôÈ ÇõÈ ÇöÈ Ç÷È ÇøÈ) (ÇêÈ ÇëÈ ÇìÈ ÇíÈ ÇîÈ ÇïÈ ÇðÈ ÇñÈ) [مريم: ٦٥] (ÇÚÈ ÇÛÈ ÇÜÈ ÇÝÈ ÇÞÈ ÇßÈ) [النحل: ٧٤]

المقصود أن الآيات كثيرة دلت على هذا ومباينة الخالق للمخلوق واضحة شرعا وعقلا، فالمقصود هنا أن الرب ـعز وجلـ وإن أثبتنا له الأسماء كما أثبتها لنفسه، أثبتناها لأنه أثبتها لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ـصلى الله عليه وسلمـ الثابتة لكن يجب أن تعلم أن اعتقاد أهل السنة والجماعة ينبني على قواعد أمر عليها سريعا، من هذه القواعد أن الرب ـعز وجلـ ليس كمثله شيء، وعلى هذا كل ما ورد من النصوص يجب أن تثبته من جهة المعنى تؤمن باللفظ تؤمن بالمعنى، وتفوض حقيقة هذه المعاني وكيفية هذه المعاني إلى الله ـعز وجلـ ، ولهذا إذا جاءك اللفظ، مثلا لفظ الاستواء، فيجب عليك حيال هذا اللفظ ثلاثة أشياء، الأول: أن تثبت اللفظ ﴿Ä ¨Ìè¢ ¨ÌÈ¢ ¨Ì¢ ¨Ì¢ ÇÎÈ 3 qÈ¢Ó¨Ì¢ ﴾ [طه: ٥]

والثاني أن تثبت المعنى، ومعروف أن معنى استوى في لغة العرب يدور على أربعة أشياء، ارتفع، وعلا، واستقر، وصعد، هذه أربعة معان معروفة، فتثبت أيضا المعنى، لكن الحقيقة كيف استوى؟ هذه يجب عليك أن تفوض فيها، ولهذا أهل السنة والجماعة مفوضة في أي شيء؟ في الكيفية أما في المعاني فليسوا بمفوضة، ولهذا من نسب إلى السلف أنهم يفوضون في المعاني فقد أخطأ، فالتفويض فيه تفصيل منه ما هو حق، ومنه ما هو باطل، تفويض المعاني هذا باطل، وهذا ليس مذهب أهل السنة، بل هو شر المذاهب، التفويض كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـعليه رحمة الله تعالىـ وأما تفويض الحقائق والكيفيات هذا واجب، لأنه لا يعلم كيفيته ـعز وجلـ إلا هو، وهو ما أخبرنا بكيفية نزوله ولا كيفية استوائه ولا كيفية سمعه ولا بصره إلى آخر ذلك، ولهذا الإمام مالك ـرحمه اللهـ أجاب بجواب جعله العلماء قاعدة في هذا الباب سأله رجل قال له: كيف استوى؟ ﴿Ä ¨Ìè¢ ¨ÌÈ¢ ¨Ì¢ ¨Ì¢ ÇÎÈ 3 qÈ¢Ó¨Ì¢ ﴾ [طه: ٥] ومعلوم أن السؤال عن الكيفية في أسمائه الله وصفاته وأفعاله ممنوع، بل هو محدث وبدعة يقول الراوي: فأطرق الإمام مالك حتى أخذته الرحضاء، الرحضاء شدة العرق، لأن هذا السؤال سؤال لا ينبغي أن يسأل به عن الله ـعز وجلـ لأن الإنسان لو أجاب لابد أن يخطئ، لأنه ليس هناك دليل

يدل على ما هي الكيفية؟ ما هناك دليل، وإنما خاطبنا ـعز وجلـ بهذه الألفاظ ونحن نعرف معانيها لأنها بلسان عربي مبين، أما الحقائق والكيفيات الله أعلم بها، ثم رفع رأسه الإمام مالك وأجاب بجواب يعتبر قاعدة في هذا الباب، فقال: الاستواء غير مجهول، وش معنى غير مجهول؟ يعني أنه معروف من جهة المعنى في كلام العرب، والكيف غير معقول، يعني لا نعقله، لأن الله ما أخبرنا والعقول لا تصل إلى كيفية الرب ـعز وجلـ كيف ينزل، كيف استوى، لا يمكن للعقل مهما أعطي، لكن ليس معنى هذا أن الله ـعز وجلـ ليس لاستوائه ونزوله وصفاته ليس لها كيفية، لا، لها كيفية، لكن وش الممنوع؟ السؤال عن الكيفية أما أن لها كيفية نعم، لأن الشيء الذي ليس له كيفية هذا غير موجود هذا عدم، لكن نحن لا نعلم هذه الكيفية، فالممنوع هو السؤال عن الكيفية ولهذا قال الإمام مالك، والكيف غير معقول، ثم قال: والإيمان به واجب، الإيمان بماذا؟ بالألفاظ والمعاني وتفويض ماذا؟ الكيفية، والسؤال عنه بدعة، السؤال هذا بدعة.

لأن هذا تنطع وجاء بشيء لم يأت في النصوص ولم يدرج عليه السلف، فالمقصود أن هذه قاعدة عظيمة في باب الأسماء والصفات.

القاعدة الثانية: أن الأسماء والصفات تدور على النفي والإثبات، فلابد من نفي ولابد من إثبات، فالإثبات بدون نفي لا يقتضي المدح لأنه قد يوجد المشارك له في هذه الأسماء والصفات من جهة الحقائق، والنفي بدون إثبات نفي محض، والنفي المحض ليس فيه مدح، هل يمدح أحد بالنفي؟ ليس بمدح هذا، ما لم يتضمن ماذا؟ إثبات كمال الضد، واضح هذا، إذاً لابد من نفي وإثبات، وعلى هذا جاءت النصوص، ولهذا إذا نظرتم في النصوص وجدتم أن الله ـعز وجلـ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وتجدون أنه نفي عن نفسه النقائص والمعائب فمثلا قوله ـعز وجلـ في هذه الآية (¾ÏÎ#Ï‰ . §ÎÏ) (ÏÎ7•Β » ¾ÏÎ#Ï‰ . §ÎÏ) هذا نفي أو إثبات؟ نفي، قال: (ÏÎ7•Β ÏÎ7•Β ÏÎ7•Β) فهو جمع بين النفي وبين الإثبات، لكن ينبغي أن ينبه إلى أن القاعدة العامة في النفي أن يكون مجملا، هذه القاعدة عند السلف، القاعدة عندهم أن النفي مجمل، والإثبات مفصل، لأن المدح لا يكون إلا

بهذا، أما التفصيل في النفي قد يكون نوع إيش؟ نوع ذم، ولهذا ﴿ ¾ïîÏÜ . § ﴾ لما جاء الإثبات مفصل، هذا نفي مفصل أو مجمل؟ مجمل، قال: ﴿ ÇÅ 7ÞÞ ﴾ لما جاء الإثبات مفصل، لكن أحيانا قد يرد الإجمال في الإثبات مثل: ﴿ ÇÈ šú üÏ=è ﴾ [الفاتحة: ٢]

هذا إثبات أو لا، لكنه مجمل، قد يأتي لكن وش الأكثر في الإثبات؟ التفصيل، وقد يأتي النفي مفصلا، مع أن الأصل ما هو؟ الإجمال، مثل قوله _عز وجل_: ﴿ ÇÈ ﴾ [الإخلاص: ٣]

هذا نفي أو لا، مفصل أو مجمل؟ مفصل لأنه نص على الولد أنه لم يلد ولم يولد، قال _عز وجل_: ﴿ ÇÈ Ó ﴾ [طه: ٥٢]

قال _عز وجل_: ﴿ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] مفصل، ﴿ ﴾

قال _عز وجل_: ﴿ ﴾ [فاطر: ٤٤] هذا نفي مفصل، إذاً الأصل أن النفي مجمل، لكن متى يأتي النفي مفصل؟ في ثلاث مسائل، أو أحوال، الأول: في الرد على مقالة باطلة، نصت على نص في حق الله _عز وجل_ مثل قول اليهود والنصارى ومشركي العرب، قالوا: إن الله _عز وجل_ النصارى قالوا: إن عيسى ابن الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله، فهم نصوا على هذا النقص، فهنا رد عليهم ردا مفصلا لأجل هذه المقالة التي قيلت، ولهذا قال: ﴿ ﴾ [الإخلاص: ٣]

هذا رد على من قال: إن الله له ولد، ومثل قول الله _عز وجل_: ﴿ ﴾

﴿ ﴾ [ق: ٣٨]

هذا نفي إيش؟ مفصل، اللغوب الذي هو التعب والإعياء، لماذا جاء مفصلا؟ للرد على اليهود الذين قالوا: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، فالله رد عليهم في هذه المقالة.

الثاني من الأحوال التي يأتي فيها التفصيل في النفي لدفع ما قد يتوهمه متوهم بنقص في حق الله ـعز وجلـ، أن يتوهم نقصا في حق الله ـعز وجلـ مثل الآن الوالد، هل أحد قال: إن الله له والد؟ ما أحد قال، لكن قد تقال هذه المقالة، قد يتوهم، لأن الذين قالوا له ولد، وش المانع أن يأتي ويقول: إن له والدا، ومثل قوله ـعز وجلـ في قصة موسى وفرعون ﴿ÇÎÈ Ó¤Yƒ ÖÖr 'Îñ @Ïƒ ÖÖv 5=»Gï 'Î 'Îñ ‰ZÏã $gÜÜÜe A$%﴾ [طه: ٥٢]

الله قدر المقادير في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة كما هو معلوم، قد يتوهم متوهم أن الله كتب المقادير في اللوح المحفوظ إيش؟ حتى لا ينساها، لماذا أنتم تكتبون؟ لماذا الإنسان يقيد العلم؟ حتى لا ينسى أو يضل في فهمه، قد يريد شيئا، فالله ـعز وجلـ حينما كتبها في اللوح المحفوظ قد يتوهم متوهم أنه كتبها خشية الضلال أو النسيان ولهذا قال: ﴿ÖÖr 'Îñ @Ïƒ ÖÖv 5=»Gï 'Î 'Îñ ‰ZÏã $gÜÜÜe A$%﴾ وش قال بعدها؟ ﴿ÇÎÈ Ó¤Yƒ﴾ فالآن نفى هنا نفيا مفصلا حتى يدفع التوهم الذي قد يرد على ذهن الإنسان.

الثالث: أن يكون لإثبات كمال الضد، مثل قوله ـعز وجلـ: ﴿ÖÖr ÖÖ ¼çãÈÈÈ ¼ÅÅÅ ÖÖÖ ÖÖÖ ÖÖÖ

القواعد المهمة أيضا لعلي أختم بها في هذا البيت: أن النفي ليس بنفي محض، فإذا نفينا عن الله ـعز وجلـ الظلم، لابد من إثبات ماذا؟ كمال الضد، وش كمال ضد الظلم؟ تمام العدل وكمال العدل، ليس عدلا فقط، بل كمال العدل وتمام العدل، لأن نفي الشيء هل يكون مدحا دائما، إذا قلت: فلان لا يظلم، هذا نفي أو لا؟ لكن هل نفي الظلم دائما مدح؟ لا، متى يكون مدحا؟ إذا كان الذي منعه كمال العدل أو العدل، فإذا قيل: الأمير لا يظلم الرعية، وش يكون هذا؟ مدحا، لأنه قادر على ظلمهم، لكن إذا قلت: الضعيف لا يظلم القوي، هل هذا مدح؟ لا، وش السبب؟ لأن الذي منعه ماذا؟ الضعف، ولهذا يقول الشاعر:

قبيلة لا يغـــــدرون بذمـــة ولا يظلمون الناس حبة خردل

هو ما يمدحهم هنا يذمهم، قبيلة صغرهم، ومعلوم أن التصغير قد يكون المراد منهم التحقير، فلابد من إثبات كمال الضد، ثم قال: « وليس له شبه تعالى المسبح » كلمة شبه يراد بها مثل، والأحسن أن يقال: لو أن المؤلف، لكن لو قال: وليس له مثل تعالى المسبح لكان أحسن، لأن نفي المثل جاءت به النصوص: (ßšÜ¡ 9$ qèr ÖÜ† « ¾ïÎ#Ü. §) (¢ÇÃ 7$) (ÝÙ ? qçÜ ÷) (A$VÞF$) ولأن نفي المثل لا يرد عليه شيء، أما نفي الشبه فإن الشبه فيه تفصيل، قد يراد بالشبه هنا الذي هو الاجتماع في أصل المعنى، في المعنى الكلي العام، هذا صحيح حق، وأما الشبه بعد الإضافة فهذا باطل، على كل حال يمكن التفصيل في هذا قد يأخذ علينا وقتا، وقد لا يتضح المراد لكل أحد، لكن مرادهم بأن نفي الشبه المقصود بنفي الشبه هنا أو الشبيه المقصود به المثيل، هذا مرادهم، إذا قالوا: بلا تشبيه يعني بلا تمثيل، هذا مرادهم.

يقول: « وقد ينكر الجهمي هذا » ينكر ماذا؟ مسألة الرؤية، « ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرح » يقول: الجهمي قد ينكر هذا لكن نحن لا ننكره، لماذا؟ لأن عندنا برهان، وعندنا حجة، وهذه الحجة الواجب هو الأخذ بها، ولهذا قال: « وعندنا بمصداق ما قلنا » يعني تصديق ما اعتقدناه، وقلنا به « حديث مصرح » حديث

صريح « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر » في أصرح من هذا شيء؟ هذا واضح وبين، لكن هم إما أن يؤولوا وإما أن يقولوا: أخبار آحاد، ولهذا تقسيم الأحاديث إلى آحاد ومتواترة أول من أحدثه المعتزلة، وهذا التقسيم ليس فيه مانع من جهة الاصطلاح، لكن المانع من جهة ماذا؟ من جهة أن يترتب على هذا التقسيم رد النصوص، هذا هو المنكر، أما كونه متواترا، يذكر له شروط، حتى إدخال المتواتر في علم المصطلح ليس من مباحثه، وليس هناك شيء في الحديث لا يبحث عن سنده، على كل حال هم إما أن يقولوا: أخبار آحاد ويردوا النصوص، وإما أن يقولوا: قد يأتي في القرآن أو يأتي متواترا فيؤولونه، وهم في التأويل ما يبالون، ولو جاءوا بالعجائب، مثل قوله ـعز وجلـ: ﴿ ÓÉ$#uqèdur ÏNºuöxî ÇÊÑÈ ﴾ [النساء: ١٦٤]

قالوا لأحد القراء، اقرأ وكلم اللهَ موسى تكليما، ونعطيك ما أردت، لأنه إذا قال: وكلم اللهَ موسى تكليما، صار المتكلم من؟ موسى، قال له: هب أني قرأت ما أردت فما تفعل بقوله: ﴿ ÓÉ$#uqèdur ÏNºuöxî ÇÊÑÈ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

ما يمكن يقول: وكلمه ربَّه، لأن هذا خطأ فاحش في اللغة، ماذا فعلوا لما أعيتهم الحيل في تحريف اللفظ، جاءوا إلى المعنى وانظروا العجب ﴿ ÓÉ$#uqèdur ÏNºuöxî ÇÊÑÈ ﴾ [النساء: ١٦٤]

قالوا: كلمه يعني جرحه لأن الكلم يطلق على الجرح « ما من مكلوم يكلم » قالوا: كلمه تكليما يعني جرحه تجريحا بأصابع الحكمة، سبحان الله العظيم، يعني لما أعياهم رد اللفظ جاءوا إلى المعنى وجاءوا بالعجائب، مع أن هذا المعنى باطل وش السبب؟ لأن المصدر في الجرح ما يأتي تكليما، يقال: كلما، الجرح مصدره كلما، والكلام مصدره كلاما وتكليما، فالآن ﴿ ÓÉ$#uqèdur ÏNºuöxî ÇÊÑÈ ﴾ لا يمكن أن يراد به الجرح، لأن المصدر هنا يرد هذا المعنى، لو كان المقصود به الجرح لقال: وكلم الله موسى كلما، لكن تكليما لا يأتي المصدر هنا تكليما إلا للكلام المعروف بالحرف والصوت.

يقول: « رواه جرير » يقول: هذا الحديث رواه جرير بن عبد الله البجلي « عن مقال محمد » _عليه الصلاة والسلام_ « فقل مثلما قد قال في ذاك تنجح » نعم صدق والله، قل ما قال نبيك _عليه الصلاة والسلام_ وتمسك بما جاء عنه _عليه الصلاة والسلام_ واعتقد ما جاءت به النصوص إذا أردت النجاح، إذا أردت الفوز، إذا أردت السعادة إذا أردت النجاة، عليك بقول ما قاله نبيك _عليه الصلاة والسلام_ فإن الله _عز وجل_ لا يسأل الخلق يوم القيامة إلا عن ما جاءت به الرسل ﴿ ÇÍÎÈ ûüÎ™ö©Ÿ2 ﴾ [القصص: ٦٥]

يقول: « وقد ينكر الجهمي أيضا يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفح » انتقل لمسألة من مسائل الاعتقاد وهي إثبات اليدين لله _عز وجل_ فأهل السنة يثبتون اليدين لله _عز وجل_ كما جاءت به النصوص، والنصوص في هذا صريحة، الله _عز وجل_ قال لإبليس لما أمره بالسجود لآدم ﴿ £`ßgs%öqtƒ ãNèdur ÏM»yJÎ=ó¡ãB ÏNöqyèø9$# ﴾ [ص: ٧٥]

ثناها، قال: بيدي، وقال _عز وجل_: ﴿ ãΑöθs%uρ ãΝÏδÏ‰ôϑ¯=tæ ﴾ [الملك: ١]، وقال _عز وجل_ عن اليهود: ﴿ ãΑöθs%uρ ãΝÏδÏ‰ôϑ¯=tæ ﴾ [المائدة: ٦٤] وش قال بعدها ﴿ ãΑöθs%uρ ãΝÏδÏ‰ôϑ¯=tæ ﴾ المقصود أن النصوص صريحة في هذا وواضحة وقد جاء في النصوص ذكر اليد مفردة ﴿ ãΑöθs%uρ ãΝÏδÏ‰ôϑ¯=tæ ﴾ [الملك: ١]، وجاء في النصوص التثنية ﴿ £`ßgs%öqtƒ ãNèdur ÏM»yJÎ=ó¡ãB ﴾ ﴿ £`ßgs%öqtƒ ãNèdur ÏM»yJÎ=ó¡ãB ﴾ [يس: ٧١]، وإن كان شيخ الإسلام يقول: إن هنا أيدينا ليس المقصود هنا اليد لأن الله لم يباشر خلق الأنعام بيده، ولكن هي من جهة العموم داخلة في هذا أما من جهة الإفراد ومن جهة الجمع فإنه لا ينافي التثنية، لأن المفرد القاعدة: أن المفرد إذا أضيف وش يكون؟ من ألفاظ العموم، مثل قوله

عليه الصلاة والسلام: « ما أسفل الكعبين من ثوبه فهو في النار » أو « من جر ثوبه » الثوب هنا مضاف، وش يشمل؟ كل لباس عمامة، مشلح، ثوب، سراويل، لأن الثوب مأخوذ من ثاب، لأن الإنسان يخلع ثوبه ويلبسه ثاني مرة، سمي ثوبا لأن الإنسان يخلعه ويعيده، فيقال: ثاب يعني رجع، فهو من ألفاظ العموم، ومثل قوله _عز وجل_: ($dqÝÁtB ÖÖw «!$MJèÏ{r‰ãƒ bÎr) [إبراهيم: ٣٤]

نعمة الله هنا مفرد مضاف، فيشمل جميع أنواع النعم، إذاً قوله _عز وجل_: (ãÌÏB%Ÿ2 ÏÍ‰ÍÎ “ ÏÍ‰Ÿ8•»?) لا ينافي التثنية، لأنه مضاف مفرد مضاف هنا، فهو من ألفاظ العموم، وأما بضمير الجمع، فإنه معلوم أن المثنى إذا أضيف إلى ضمير جمع فإن الأفضل والأحسن والأفضل أن يؤتى بلفظ الجمع مثل قوله _عز وجل_ في سورة التحريم (bÎ) ÓÓó¹ ßù)ù «!$ ’Îû $/qçƒ bÎ) [التحريم: ٤] هو يخاطب من؟ عائشة وحفصة («!$ ’Îû $/qçƒ bÎ) $JÈ²qèÈ) كم لعائشة وحفصة من قلب؟ لو كان بالتثنية قال: قلباكما، لكن معلوم أن الإضافة من جهة خفة اللفظ الجمع يناسب أو لا؟ فهذا سياق عربي معروف، أما التثنية صريحة بيدي، هذا صريح أن الله _عز وجل_ أن له يدين هذا معروف، وجاءت الأحاديث تدل على ذلك، المقصود أن أهل السنة يثبتون أن لله _عز وجل_ يدين، وكلتا يديه يمين، فهي يمين في البركة والفضل والجود والعطاء، كما قال _عز وجل_: (/ä3ª=yès9 tbqè=yJ÷ès?) اختلف العلماء هل تسمى إحداهما الشمال، جاءت بعض الألفاظ والأخرى بشماله، يعني يقبض السماوات بيمينه، ويقبض الأرض بالأخرى، وفي بعض الروايات بشماله، واختلف أهل العلم في إثباتها، وعلى كل حال الأمر واسع، يعني من أثبت هذه اللفظة بشماله فلا ينافي أن كلتا يديه يمين من جهة البركة والجود والعطاء، فلا تظن أنه إذا قيل يمين وشمال أن تكون هذه أفضل من هذه كما أن المخلوق يده اليمنى أفضل وأكمل، بل كلتا يديه يمين من جهة الفضل والعطاء والسخاء والجود(/ä3ª=yès9 tbqè=yJ÷ès?) والله ذم اليهود وأنكر عليهم أنهم نسبوه إلى

البخل، ولهذا هو ما أنكر عليهم أنهم أثبتوا اليد، ولهذا (ÎÌ9$%r (Î!qèøB « $Z%f ßqÃ2$) أنكر عليهم أنهم نسبوا يده ـعز وجلـ أو نسبوه إلى البخل، ولهذا قال: (/Ò ç#‰f ÒÈ$GÛqÝ6B) أما من خالف أهل السنة والجماعة فلا يثبتون هذه الصفات وتسمى الصفات الذاتية، ما يثبتونها لله ـعز وجلـ، ولهذا يؤولونها، يقولون: إن اليد المقصود بها النعمة، يقولون مثلا: العرب تقول: لفلان علي يد، يعني له علي نعمة وعطاء، ولاشك أن هذا غلط من وجهين:

الوجه الأول: أن النعمة والقدرة لا تثنى، القدرة واحدة معنى واحد كيف يثنى، هل يقال: لما خلقت بيدي يعني بنعمتي أو بقدرتي؟ ما يمكن، وليس معروفا في العرب أن القدرة تثنى ولا القوة تثنى، ولو كان المقصود بها القدرة أو النعمة فكلنا من نعمة الله ـعز وجلـ، وكلنا من آثار قدرته ـعز وجلـ ، وش الميزة لآدم إن الله خلقه بيده، لكن هنا باشره خلقه بيده، يد حقيقية، ثم أيضا الوجه الآخر أن اليد التي بمعنى النعمة لا تأتي مضافة أبدا، ما يمكن تأتي مضافة، وإنما تأتي مقطوعة عن الإضافة، إذا أردت النعمة تقول: لفلان علي يد، يدٌ منونة مقطوعة عن الإضافة، يعني نعمة، أما لو قلت: يد فلان علي، ما يمكن يراد بها النعمة، يراد بها اليد الحقيقية لأنها أضيفت هنا، وليس من آيات الأسماء والصفات قوله ـعز وجلـ: (‰&#Î $g»Yø/ ä$Kìj 9$) [الذاريات: ٤٧]

بأيد هذه ليس فيها إثبات الصفة، وإنما هذا أيد مصدر، آد مثل: باع، يئيد، يبيع، بيعا، أيدا، فهو آد يئيد أيدا، والمقصود بها القوة، كما قال ـعز وجلـ: أولو الأيدي يعني أولو القوة، فالمقصود هنا هذا مصدر، ولهذا ما ذكروا هذا في الأسماء والصفات، يقول هنا: « وكلتا يديه بالفواضل تنفح » كما قال ـعز وجلـ: (/Ò ç#‰f ÒÈ$GÛqÝ6B) .

قوله: (وقل) قل أيها السني، قل يا من يريد النجاة قولا بالقلب واللسان، يعني بالاعتقاد والعمل (وقل ينزل الجبار في كل ليلة بلا كيف جل الواحد المتمدح، إلى طبق

الدنيا يمن بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتح، يقول ألا مستغفر يلق غافرا، ومستمنح خيرا ورزقا فيمنح، روى ذاك قوم لا يرد حديثهم، ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا) هذه الأبيات تتعلق بنزول الرب ـعز وجلـ وهذا أيضا مما يثبته أهل السنة والجماعة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كما دلت على ذلك النصوص، بل إن أحاديث النزول متواترة جاءت عن بضعة عشر من الصحابة ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ كلها تدل على هذا المعنى وأن الله ينزل إذا بقي ثلث الليل الآخر ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: « هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه » هذا جاءت به النصوص صريحة وواضحة ومتواترة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـعليه رحمة الله تعالىـ له كتاب عظيم في هذا الحديث سماه حديث النزول، وهو كتاب عظيم في هذا الباب، فقد ذكر الأحاديث وذكر اختلاف الروايات وذكر ـرحمه اللهـ ما دل عليه هذا الحديث من اعتقاد أهل السنة والجماعة ورد على المخالفين ورد بعض الشبه التي قد ترد على بعض الناس، فإن بعض الناس قد ترد عليه شبهة، يقول: إن الله إذا نزل ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا فثلث الليل الآخر عندنا يستمر عند غيرنا، ولهذا ثلث الليل الآخر يستمر اليوم كله، ثلث الليل الآخر عندك الآن، بعد ساعة يكون في مصر، بعد ساعة يكون فيما بعدها، فيقولون: هل معنى هذا أن الله ـعز وجلـ يستمر نازلا؟ هذا أولا لا يجوز للإنسان أن يورده، شيخ الإسلام ناقش هذه القضية، وقال ينبغي للإنسان أن يسلم وأن يعلم أن الله ليس كمثله شيء، ولا يرد في ذهنك هذا والواجب عليك أن تستحضر نزوله ـعز وجلـ في ثلث الليل الآخر في بلده، وأن تسأله وأن تدعوه ـعز وجلـ، أما الخوض في هذه الأمور فلا ينبغي للمسلم أن يخوض في هذه الأمور الغيبية ولا تظن أن نزوله كنزول الخلق فيرد على ذهنك شيء من المعاني الباطلة، فنزوله ـعز وجلـ لا ينافي أنه مستو على عرشه، ولهذا ذهب جمع من أهل العلم من السلف أنه وإن نزل لا يخلو منه العرش، ولا يرد في ذهنك أن نزوله كنزول المخلوق الذي إذا نزل من مكان خلا منه مكان، الله ـعز وجلـ ليس كمثله شيء، والإنسان ما ترد عليه هذه الأمور إلا إذا وقع

في نفسه شيء من التمثيل بالمخلوقين، لأنه يقيس الخالق على المخلوق هذا غلط، فالله ليس كمثله شيء آمنا به ـعز وجلـ، على مراده ومراد رسوله ـعليه الصلاة والسلامـ فنؤمن بالنزول والأحاديث متواترة، وهو نزول حقيقي ينزل إلى السماء الدنيا وأنه ـعز وجلـ وإن نزل فإنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، حتى لو نزل إلى السماء الدنيا لا يظن أن السماوات تحيط به ـعز وجلـ الله لا يحيط به شيء، ولهذا قال: (وقل ينزل الجبار في كل ليلة بلا كيف) لا تسأل عن الكيفية ومعلوم أن السؤال عن الكيفية ممنوع كما تقدم لكم، وأن هذا بدعة، بل نقول: ينزل كما أخبر ـعز وجلـ وبين، ولهذا شيخ الإسلام ـرحمه اللهـ ذكر في التدمرية يقول: إذا قال المبتدع كيف ينزل؟ فقل له: كيف هو في ذاته؟ وش الجواب؟ يقول: لا نعلم كيفية الذات، يقول شيخ الإسلام: فقل: فإن الصفات فرع عن الذات، فما دام أن الذات لا تعرف كيفيتها، فالصفات من باب أولى، هذا يقال إيش؟ من باب المناظرة، وإلا فإن السؤال بالكيف ممنوع، فإذا سألك قال: كيف ينزل؟ تقول: كيف ذات الرب ـعز وجلـ؟ سؤالك الآن من باب إيش؟ إقامة الحجة عليه، لا من باب الابتداء، ومعلوم أن المناظرة يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، لأنه من باب إقامة الحجة، مثل قوله ـعز وجلـ: ﴿&ú ûÏB @»=Ê 'Î ÷& " ‰ö4?è9 ÏÀà2 $fÎ ÷& $RÎr ÇÍÈ﴾ [سبأ: ٢٤] لو قلت لكافر أو مبتدع نأتي الآن وننظر ما عندك وما عندنا، قد تكون أنت على حق، وقد أكون أنا على الحق، الآن لو أن إنسان شك وقال: ما ندري نحن على الحق أو غيرنا على الحق، وش يكون هذا؟ هل يكون معه إيمان؟ لكن لو قاله من باب الحجة والمناظرة كما دلت عليه النصوص ما في شيء، مثل قوله ـعز وجلـ: ﴿öqè% ÇÌÈ `ÏiB ¨bÎ) ©!$# ÏÎ6sÜè? ÏÎ7sÜè? ÏÎ7sÜè? ÏÎ7

الواحد المتمدح) المتمدح الذي له صفات المدح والثناء وهو أحق بالمدح ـعز وجلـ ولهذا لا أحد أحب إليه من المدح من الله ـعز وجلـ ولهذا أثنى على نفسه فهو أهل المدح والثناء ـعز وجلـ وأهل المحامد.

يقول: (إلى طبق الدنيا) الطبق يعني إلى السماء الدنيا كما قال ـعز وجلـ: ﴿ ¨ ©Ï ¨ ¨ ©Ï ¨ ¨ ©Ï ¨

فيهم إلا نفرا قليلا منهم، ولاشك أن من طعن في الصحابة فقد طعن في الشريعة كلها، ولهذا يقول السلف: إن طعن هؤلاء في الصحابة طعن في الشريعة، لأن حملة الشريعة ونقلة الشريعة من هم؟ الصحابة، فهم النقلة وهم الشهود، فإذا طعنوا فيه وجرحوا شهودنا وش يترتب عليه؟ الطعن فيما حملوه، وما شهدوا به وما بلغوه ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ وقد صدق شيخ الإسلام أن الرافضة لا عقل عندهم ولا نقل، لا عقل ولا نقل، لكن تجدون أن الجهمية مثلا عندهم من العقل ما هو أحسن من عقول الرافضة أما هؤلاء فلا عقل ولا نقل، إذاً هذا المبحث يتعلق بالصحابة ـرضي الله عنهمـ والواجب أن نعرف قدر أصحاب نبي الله ـصلى الله عليه وسلمـ ونعرف فضائلهم ومناقبهم وبلاءهم الحسن في نصرة الدين وفي حفظ الشريعة، وفي تبليغها فلهم من الفضائل والمناقب ما لا يكون لغيرهم من سائر البشر بعد الأنبياء والرسل، ويدل على فضلهم ومقامهم أحاديث كثيرة ونصوص كثيرة من الكتاب والسنة، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص قال الله ـعز وجلـ في سورة الفتح ﴿[illegible]﴾ [الفتح: ١٨]، وقال ـعز وجلـ في آخر السورة ﴿[illegible]﴾ [الفتح: ٢٩]، فالآيات في هذا كثيرة جدا، وقد جاء في الصحيح أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ قال: « خير الناس قرني » كلمة الناس أل هنا تفيد العموم، وهو يشمل من كان قبلهم ومن سيأتي بعدهم، فهم خير الناس، فيشمل جميع الأمم إذاً الصحابة هم أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل للصراحة في هذا الحديث، « خير الناس قرني » هم الصحابة ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ « ثم الذين يلونهم » إلى آخر الحديث، هذا يدل على أن الصحابة كما قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية ما كان ولا يكون مثلهم، ما كان ولا يكون مثل الصحابة ـرضي الله

عنهم_ في فضائلهم ومناقبهم وتقواهم وخشيتهم وعلمهم وفضلهم، ولهذا يقول أبو زرعة: لا يقدح في الصحابة إلا زنديق، وهذا موجود من دهر طويل، وهناك ممن تأثر بهؤلاء الذين قدحوا في الصحابة تأثروا بهم في بعض الجوانب، تجدون هناك حملة على أبي هريرة _رضي الله عنه_ حملة مسعورة والسبب لأنه هو أحفظ الصحابة _رضي الله عنهم وأرضاهم_ في السنة، فإذا طعنوا فيه طعنوا في ماذا؟ فيما حمله من السنة، وتجد أنهم أحيانا يشككون في بعض مناقب الصحابة وفضائلهم ومع الأسف تجدون من يطعن في الصحابة في هذا العصر وفي غيره، شيخ الإسلام يقول: من عاب الصحابة وتنقصهم فإنه يستحق التعزير وعلى ولي الأمر أن يعزره، مثل لو قال: إن فلانا جبان أو بخيل هذا عابهم، يقول: يجب على ولي الأمر أن يعذره، فكيف إذا سبهم وأبغضهم وطعن فيهم وكفرهم هذه مصائب ولهذا ذكر شيخ الإسلام أن من كفر أبا بكر أو عمر أو سبهم فإنه يكفر، لا شك أن من زكاه الله _عز وجل_ يجب أن نعرف قدره وفضله، لكن أن يزكيه الرب _عز وجل_ وأن يثني عليه ثم نقدح فيه هذه مصيبة عظيمة جدا، ومع هذا كما قالت عائشة _رضي الله عنها_ لما علمت أن هناك من يقدح في الصحابة قالت: يا بني انقطع عملهم فأراد الله _عز وجل_ أن يجري عليهم الحسنات بالطعن فيهم، انقطع عملهم بالموت فأراد الله لهم الخير فطعنوا فيهم فدرت عليهم الحسنات والخيرات، وهذه من نعمة الله _عز وجل_، وإلا فإن من قدح في الصحابة ورماهم وكفرهم لا يضر إلا نفسه، ما يضر الصحابة أبدا، والدين ظاهر وبين وواضح وكما قال ابن القيم:

والحق ممتحن ومنتصـــر فلا تعجب فهذه سنـــة الرحمن

الامتحان والابتلاء لابد منه، ولكن مع هذا الحق منصور.

يقول: (وقل: إن خير الناس بعد محمد) الصحابة أيضا يتفاوتون في الفضل، فمن أسلم قبل الفتح أعظم ممن أسلم بعد الفتح، ولهذا قال النبي _عليه الصلاة والسلام_ لخالد بن الوليد لما حصل بينه وبين عبد الرحمن بن عوف خصومة قال له: « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مع أن خالد بن الوليد _رضي الله

عنه_ صحابي بإجماع أهل السنة، الصحابة كل من اجتمع بالنبي _عليه الصلاة والسلام_ ولو لحظة فإنه صحابي ولهذا تعريف الصحابي: من لقي النبي _صلى الله عليه وسلم_ مؤمنا به ومات على ذلك ولو تخللته ردة على الصحيح، هذا هو الصحابي ولا يشترط طول الصحبة، هذه من خصائصه _عليه الصلاة والسلام_ فهم صحابة بإجماع أهل العلم المعتبرين، يوجد ناشئة اليوم من يقول: الصحابة من أسلم قبل الفتح، ورأيتم رد الشيخ عبد المحسن العباد على من قال بهذا القول وهو المالكي والشيخ له كتاب عظيم في هذا وهذا من الجهاد الذي ينبغي أن يجاهد به أهل الباطل، فالصحابة كل من لقي النبي _عليه الصلاة والسلام_ مؤمنا به ومات على ذلك، ولكن هم متفاوتون في الفضل والمناقب لاشك (`Ï ,ÿR& ôB OaÿÏ "ÈÇó¡ ÿÏ `Ï ÇÈ ÏÎz bqèÜè? $JÎ ª! $# ¨ó_ÇÇ$ª! $%ãr yxär {qè%r Ïbè/ .`Ï {qàÿR& ûïÏ%©$ [الحديد: ١٠]

لاشك أن من أسلم قبل الفتح أنه أعظم لكن كلهم صحابة، وأيضا أهل بدر لهم ميزة، وهكذا، لكن كلهم لهم فضائل ومناقب، وهم يدخلون في قوله _عليه الصلاة والسلام_: « خير الناس قرني » وأفضل الصحابة _رضي الله عنهم وأرضاهم_ بإجماع الأمة أبو بكر ثم عمر هذا بالإجماع بين أهل السنة قاطبة، أن أفضل الصحابة أبو بكر _رضي الله عنه_ قد جاءت النصوص صريحة بهذا، جاء عند البخاري حديث ابن عمر في نصوص كثيرة أنهم يقولون: كنا نقول أفضل الناس بعد النبي _عليه الصلاة والسلام_ أبو بكر ثم عمر، جاء في بعض الروايات ثم عثمان، ثم لا نفاضل، ولما سئل علي _رضي الله عنه_ قيل: من أفضل الناس بعد النبي _عليه الصلاة والسلام_؟ قال: علي _رضي الله عنه_ أبو بكر، قيل: ثم من؟ قال: عمر، يقول: فسكت حتى لا يقول عثمان، فقلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين، فأبو بكر لاشك أنه أفضلهم بالإجماع، ثم عمر، هذا لا خلاف بين أهل السنة، أما عثمان _رضي الله عنه_ مع علي فحصل الخلاف، فمنهم من قدم عثمان على علي وهذا هو الصحيح، وهو الذي استقر عليه الأمر، ومنهم من قدم عليا على عثمان، ومنهم من توقف، ولكن الصواب هو

تقديم عثمان على علي، هذا من جهة ماذا؟ من جهة الفضل، أما من جهة الخلافة فلاشك أن الترتيب على حسب خلافتهم، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ولهذا شيخ الإسلام في الواسطية يقول: من قدم عليا على عثمان إن كان قدمه في الفضل فهذا لا يبدع ولا يفسق، من قال: علي أفضل من عثمان لا يبدع، وأما من قدمه في الخلافة فلاشك أنه مبتدع، من قال: إن عليا هو الثالث وأنه أولى من عثمان، هذا هي المسألة التي فيها التبديع، أما مسألة الفضل تفضيل هذا على هذا فالمسألة فيها الخلاف وإن كان الصواب والذي استقر عليه الأمر تقديم عثمان ـرضي الله عنهـ على علي ـرضي الله عن الجميعـ

يقول: ولهذا قال: (ثم عثمان الأرجح) وش معنى الأرجح؟ يعني معناه أن فيها خلاف لكن الأرجح عثمان، هذا هو الصحيح، هذا بالنسبة للفضل أما الخلافة فلا إشكال، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ـرضي الله عنهم جميعاـ.

قال: (ورابعهم خير البرية بعدهم) خير البرية يعني خير الناس بعدهم يعني بعد هؤلاء الثلاثة (علي حليف الخير) يعني ملازم الخير ـرضي الله عنه وأرضاهـ (بالخير منجح، وإنهم) يعني الأربعة هؤلاء (والرهط) الرهط الجماعة من الثلاثة إلى العشرة (لا ريب فيهم) لا شك ولا تردد (على نجب الفردوس بالخلد تسرح) وهذه مسألة وهي مسألة القطع بأن فلان في الجنة أو في النار هنا يقول: نجزم بأن هؤلاء الأربعة مع الرهط الذين سيذكرهم وهم العشرة المبشرون بالجنة يقول: (نجزم أنهم على نجب الفردوس) النجب التي هي الإبل القوية الحسنة السريعة، ولهذا قال: (على نجب الفردوس بالخلد تسرح) قد جاء في الأحاديث الصحيحة أن هناك النجب التي هي الإبل، ولما تصدق إبل بناقة قال لك ثلاثمائة أو قال: سبعمائة من نجب الجنة كما رواه مسلم نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها (سعيد وسعد) هذه قاعدة ما جاءت به النصوص من التنصيص على أن فلانا من أهل الجنة فهذا نجزم أنه من أهل الجنة، وما جاء من جهة العموم فنعمم وأما التخصيص لمن لم يخصصه الشرع فلا ينبغي بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وشهادة الأمة

للرجل بالفضل والخير هذه بشارة كما جاء في الحديث « أنتم شهود الله في أرضه » والمسألة فيها نزاع بين أهل العلم ولكن المشهور عند أهل السنة أنه لا يقطع لأحد إلا ما دل عليه النص قال: (سعيد) هؤلاء العشرة بقية العشرة، إذاً أبو بكر وعمر وعثمان وعلي هؤلاء أربعة بقية العشرة قال: (سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدح) كم هؤلاء؟ ستة، والأربعة الخلفاء صاروا إذاً عشرة، سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وابن عوف عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وعامر فهر أبو عبيدة عامر بن الجراح، والزبير الممدح الزبير بن العوام، هؤلاء كم؟ عشرة، هؤلاء جاءت أحاديث صحيحة أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ نص عليهم، قال: « أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وسعيد في الجنة، وسعد ... إلخ » نص عليهم، وجاءت أحاديث نصت على أبي بكر وعمر وعثمان كما في قصة القليل لما استأذن أبو بكر قال: « ائذنوا له وبشروه بالجنة » فدخل أبو بكر، ثم جاء عمر واستأذن فقال: « ائذنوا له وبشروه بالجنة » فدخل وجاء عثمان فاستأذن وقال: « بشروه بالجنة على بلوى تصيبه » وهو الذي حدث من الخوارج الذين خرجوا عليه وقتلوه ظلما ـرضي الله عنه وأرضاهـ والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سؤال: بعض الصحابة بشروا بالجنة يا شيخ ...

الجواب: هذا جاءوا في حديث من بشر وجاء النص ما في إشكال، « لا يلج النار رجل بايع تحت الشجرة » كل من كان تحت الشجرة أيضا، كذلك « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » إلى آخره كل من جاءت به النصوص، وقوله أيضا لعكاشة بن محصن أنت منهم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد.

فقال الإمام ابن أبي داود ـرحمه الله تعالىـ في حائيته:

وسبطي رسول الله وابني خديجة ... وفاطمة ذات النقاء تبحبحوا
وعائش أم المؤمنين وخالنا ... معاوية، أكرم به ثم امنح
وأنصاره والهاجرون ديارهم ... بنصرتهم عن كية النار زحزحوا
ومن بعدهم فالتابعون لحسن ما ... حذوا حذوهم قولا وفعلا فأفلحوا
ومالك والثوري ثم أخوهم ... أبو عمرو الأوزاعي ذاك المسبح
ومن بعدهم فالشافعي وأحمد ... إماما هدى من يتبع الحق ينصح
أولئك قوم قد عفا الله عنهم ... فأحببهم فإنك تفرح
وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانا تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي للصحابة تمدح
وبالقدر المقدور أيقن فإنه ... دعامة عقد الدين، والدين أفيح
ولا تنكرن جهلا نكيرا ومنكرا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح

الشَّرْحُ:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فقال الإمام ابن أبي داود ـعليه رحمة الله تعالىـ في منظومته الحائية يقول:

وسبطي رسول الله وابني خديجة ... وفاطمة ذات النقاء تبحبحوا

إلى آخره، وهذا البحث متعلق بما تقدم وهو ما يتعلق بالصحابة ـرضي الله عنهمـ وما يتعلق بفضائلهم ومكانتهم وأن نشهد بالنص أن ننص عليه وأن نعينه، أنه في الجنة لمن

عينته النصوص في الكتاب أو السنة وتقدم الأربعة الخلفاء ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ وبقية العشرة سعيد وسعد إلى آخر ما ذكره الناظم ـعليه رحمة الله تعالىـ وهذه الأبيات في بعض النسخ غير موجودة فبعضهم يقول: إنها ليست من نظم المؤلف بل من زيادات بعض تلاميذه، وعلى كل حال تشرح لأن ما ذكر فيها حق، سواء ثبت أنه للمؤلف أو لمن نقل عنه، فقوله هنا: (وسبطي رسول الله وابني خديجة) هنا نصب سبطي مع أن الظاهر هو الرفع، لأنه معطوف على مرفوع، لما قال: (سعيد وسعد) كان الأظهر أن يقال: وسبطا رسول الله بالألف على أنه مرفوع، لكنه جاء منصوب هنا ليحمل النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، كأنه قدره بقوله: وأخص سبطي، أو واذكر سبطي رسول الله، والمقصود بالسبطين هنا الحسن والحسين ـرضي الله عنهما وأرضاهماـ الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب ـرضي الله عن الجميعـ النبي ـعليه الصلاة والسلامـ هو جدهم فإن الحسن والحسين ابنان لفاطمة بنت محمد ـرضي الله عنها وأرضاهاـ ولاشك أن الحسن والحسين لهما فضائل كثيرة وقد جاءت النصوص تدل على ذلك، قد جاء أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ قال: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وقال: « إن ابني هذا يصلح الله على يديه » المقصود أن فضائلهما كثيرة جدا، وهم من أئمة أهل السنة والجماعة، وإن زعم الرافضة أنهم من أئمتهم، فإن هؤلاء أئمة أهل السنة والجماعة وليسوا لهم بأئمة، ولكنهم يخلطون بين الحق والباطل، والباطل عندهم كثير جدا، لكن الحسن والحسين يبرآن من الرافضة وما هم عليه، بل هما على الحق والهدى، وهما من أئمة أهل السنة والجماعة ـرضي الله عنهما وأرضاهماـ .

وقوله هنا: (وابني خديجة) الواو هنا لا تقتضي المغايرة، فإن مراده بابني خديجة هما الحسن والحسين، ولا يعني بهما أبناء النبي ـعليه الصلاة والسلامـ وإنما المراد هنا ابني خديجة يعني الحسن والحسين لأنها تعتبر أما لهما لأنها أم أمهما، فخديجة هي أم فاطمة ـرضي الله عن الجميعـ والحسن والحسين ابنان لفاطمة، فهي أم لهما.

يقول: (وفاطمة بنت محمد ـرضي الله عنها وأرضاهاـ ذات النقاء تبحبحوا) فاطمة ـرضي الله عنهاـ أيضا جاءت النصوص بفضلها ومناقبها، ولهذا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ قال: « إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » ولاشك أن فاطمة ـرضي الله عنها وأرضاهاـ لها فضائل جمة، وفضائل عظيمة، ولكن كما ذكرت لكم أن أهل البدع ولو تعلقوا ببعض الصحابة وجعلوهم من أئمتهم فإن هذا لا يغير من كونهم أئمة لأهل السنة والجماعة، ولا يجوز الطعن في هؤلاء من أجل إغاظة الأعداء هذا منهج خطأ، بعض الناس أحيانا إذا رأى أهل البدع غلوا في شخص سواء كان من الصحابة أو من التابعين وهو يعرف فضل هذا الذي غلوا فيه أحيانا تجد أنه يطعن فيهم أو يستنقصهم أو يقع في أعراضهم لا بغضا لهم ولكن إغاظة للأعداء، إغاظة لأهل الباطل، هذا لا يجوز لأن إغاظة أهل الباطل لا يكون بالقذف في أهل الفضل والصلاح، بل يبين الباطل ويعرف قدر من غلوا فيه ولا يغير هذا من مكانته وفضله وأنه من أهل السنة والجماعة أو من أئمتهم، ولهذا تجدون مثلا في يوم عاشوراء هناك من يجعله يوم نياحة على الحسن ويوم حسن وبكاء وعويل، جاء بعض الفقهاء قال: ويسن في يوم عاشوراء أن يوسع الرجل على عياله وأن يظهر الفرح والسرور إلى آخره، لماذا؟ مقابلة لأهل البدعة ولأجل إغاظتهم، فيقال: إن البدع لا ترد بالبدع، والمحدثات لا ترد بالمحدثات، نحن نلتزم بالحق، وإلا كل من خالف الحق جئنا ببدعة تناقضه وقعنا فيما وقع فيه، فيجب أن يعرف هذا الأصل الأصيل وأن أصحاب البدع يبين للناس بدعهم، ويحذر من ضلالهم، ومن غلوا فيه يبين من هو؟ فإن كان من أهل الحق والهدى بيننا فضله واعترفنا بمقامه، ولكن لا يضره من قدح فيه، ولا يضره من تعلق به، أو كذب عليه، أو نسب له شيئا ليس بحق، هذا لا يضره، وإلا فإن الكفار عبدوا وتقربوا إلى الله ـعز وجلـ بعبادة الملائكة، وهناك من يغلو في الرسل، بل ويعبد الرسل ومع هذا لا يغير ذلك من مقامهم وفضلهم، إنما يكون الخطر إذا كان هو الآمر أو الراضي، أما إذا كان لا يرضى ولم يأمر فلا يضره من كذب عليه أو غلا فيه.

قال: (وعائش أم المؤمنين) عائشة _رضي الله عنها_ هي أم المؤمنين، وكذلك زوجاته _عليه الصلاة والسلام_ وهذا بنص القرآن فإن زوجات النبي _عليه الصلاة والسلام_ أمهات للمؤمنين، فهم أمهات للمؤمنين من جهة الفضل، والاحترام والقدر، وتحريم الزواج بهن بعده _عليه الصلاة والسلام_ هذا هو المراد، وليس المقصود أنهن أمهات له في المحرمية والخلوة، وإنما المقصود أن زوجات النبي _عليه الصلاة والسلام_ أمهات للمؤمنين من جهة الفضل والقدر والاحترام، وكذلك من جهة تحريم النكاح بهن بعده _عليه الصلاة والسلام_ أما المحرمية والخلوة والسفر كل هذا لا يدخل في هذا ولاشك أنه وصف عام، ولكن يخصون عائشة _رضي الله عنها_ لأن هناك من طعن فيها، ورماها بأبشع الأوصاف، وقدحوا فيها وفي عرضها وفي مقامها، وفي فضلها _رضي الله عنها وأرضاها_ فعائشة هي أفضل أزواج النبي _عليه الصلاة والسلام_ هي وخديجة، اختلف العلماء هل الأفضل خديجة _رضي الله عنها_ أو عائشة؟ على ثلاثة أقوال، منهم من فضل خديجة وقدمها، ومنهم من فضل عائشة وقدمها، ومنهم من فصل، وهذا التفصيل لعله الأقرب كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية _عليه رحمة الله تعالى_ فيقال: إن خديجة أفضل من عائشة من وجه، وعائشة أفضل من خديجة من وجه آخر، فمن جهة الابتداء خديجة أفضل، ومن جهة الانتهاء عائشة أفضل، فإن من جهة الابتداء خديجة _رضي الله عنها_ نصرت النبي _عليه الصلاة والسلام_ ووقفت معه في دعوته، وأعانته، وواسته بمالها، ونفسها _رضي الله عنها وأرضاها_ ولهذا لما نزل عليه الوحي في غار حراء، ورجع إلى خديجة يرجف فؤاده وذكر لها الخبر، قالت: والله لا يخزيك الله أبدا، هذا العقل وهذا الثبات، ثم ذكر له أوصافا كثيرة معلومة، قالت: إن الذي يفعل هذه الصفات لا يخزيه الله أبدا، يصل الرحم، يكري الضيف، يعين على نوائب الدهر، يكسب المعدوم، هذه خصال إذا اجتمعت في الإنسان فإن الله _عز وجل_ لا يخزيه، ثم أخذته إلى ورقة كما هو معلوم إلى آخر ما حدث في تلك القصة، بل إن النبي _عليه الصلاة والسلام_ جاءه جبريل وقال له: « هذه خديجة قد أقبلت فأقرئها من الله

السلام، ومني السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب » فما ظنك بامرأة تبلغ من الله السلام هذا لا شك أنه فضل عظيم ومقام كريم، ولهذا النبي _عليه الصلاة والسلام_ لم يتزوج على خديجة مع أنها أكبر منه سنا، وهي أم أولاده قاطبة إلا إبراهيم جميع أولاد النبي _عليه الصلاة والسلام_ من الذكور والإناث من خديجة، إلا إبراهيم من مارية، ومع هذا لم يتزوج عليها إلا بعد وفاتها، وتقول عائشة: ما غرت من أحد من نساء النبي _عليه الصلاة والسلام_ كما غرت من خديجة، مع أنها لم تدركها، لكثرة ما يذكرها النبي _عليه الصلاة والسلام_، بل إنه أحيانا يذبح الذبيحة ويقسم لحمها على صاحبات خديجة، وجاءته امرأة يوم من الأيام فبش لها، وأكرمها، وفرح بها، فسألته عائشة _رضي الله عنها_ فقال: « هذه تأتينا أيام خديجة » المقصود أن خديجة لها فضل عظيم ووقفت مع النبي _عليه الصلاة والسلام_ في أول دعوته، ونصرته وواسته _رضي الله عنها وأرضاها_ وعائشة _رضي الله عنها_ لها فضل عظيم، وقال _عليه الصلاة والسلام_ : « فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وعائشة _رضي الله عنها_ من جهة الانتهاء فإنها هي أحب أزواج النبي _عليه الصلاة والسلام_ إليه، ولما سئل من أحب الناس إليك؟ قال: « عائشة » قيل: ومن الرجال؟ قال: « أبوها » فالمقصود أن عائشة _رضي الله عنها_ هي أحب زوجات النبي _صلى الله عليه وسلم_ إلى نفسه، ولها من الفضائل والمناقب الشيء العظيم، وقد حملت وحفظت للأمة علما كثيرا، وهي من السبعة الذين أكثروا من رواية الحديث عن النبي _عليه الصلاة والسلام_، فهي تعتبر من المكثرين في رواية الحديث، وضابط المكثر إذا قيل مكثر من الصحابة هو من روى ألف حديث فأكثر، من روى ألف حديث فأكثر يسمى مكثرا، فهي من السبعة الذين أكثروا من رواية الحديث وقد نظمهم السيوطي في بيتين السبعة هؤلاء قال:

والمكثـــرون في روايـــة الأثـــر ... أبـو هريـرة يليـه ابـن عمـر

وأنس والبـــحر كالخـدري ... وجابر وزوجـة النـبـي

والبحر الذي هو من؟ ابن عباس، والخدري الذي هو أبو سعيد الخدري، هؤلاء سبعة أبو هريرة، وابن عمر، أنس، ابن عباس، أبو سعيد، جابر، عائشة، هؤلاء السبعة هم أكثر الصحابة ـرضي الله عنهمـ رواية للحديث، وأكثرهم على الإطلاق أبو هريرة ـرضي الله تعالى عنه وأرضاهـ والمقصود أن عائشة حملت علما كثيرا وحفظت على الأمة علما جما، وكان الصحابة ـرضي الله عنهمـ إذا اختلفوا في المسألة سألوها ـرضي الله عنها وأرضاهاـ على كل حال خديجة وعائشة وفاطمة لهم من الفضائل الجمة والمناقب العظيمة التي نسأل الله ـعز وجلـ أن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

يقول هنا: (وخالنا معاوية أكرم به) خالنا معاوية، معاوية بن أبي سفيان ـرضي الله عنه وأرضاهـ وقد أطلق عليه بأنه خال المؤمنين لماذا؟ لأن أخته زوجة للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ وهي من؟ أم حبيبة، على هذا هي أم للمؤمنين فيكون أخوها خال للمؤمنين، وهم نصوا على هذا وإلا فإن هذا الوصف يكون لكل من كان أخا لإحدى زوجات النبي ـعليه الصلاة والسلامـ فعبد الرحمن بن أبي بكر على هذا وش يعتبر؟ خالا للمؤمنين، محمد بن أبي بكر خال للمؤمنين، وهكذا، لكن الذي يظهر أن العلماء حينما نصوا على معاوية ردا على من طعن فيه، من طعن في معاوية وقدح في صحبته وهذا موجود منذ دهر بعيد، وإلى يومنا هذا يوجد من يقول إن معاوية ليس من الصحابة، أو أنه أسلم ليس من باب الرغبة ولكن أسلم من باب الخوف في عام الفتح، ولاشك أن هذا القول قول خطير، معاوية ـرضي الله عنهـ من أفاضل الصحابة وهو أحد كتاب الوحي للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ ومع هذا له من الفضائل الكثيرة جدا مما جعل أبا بكر وعمر وعثمان ـرضي الله عنهم أجمعينـ أن يولوه الإمارة عشرين سنة، حتى جاءت الفتنة بعد ذلك وصار ملكا في سنة أربعين، واجتمعت الكلمة عليه، واستمر في الملك والخلافة عشرين سنة أخرى وسار في الرعية بالعدل والصلاح والخير، وليس هناك مقارنة بين معاوية ـرضي الله عنهـ وبين عمر بن عبد العزيز، ولهذا لما سئل أحد السلف نسيت أنا هل الأوزاعي أو غيره قيل له: أيهما أفضل من جهة الخلافة معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لذرة من

غبار في أنف معاوية مع النبي ـعليه الصلاة والسلامـ أفضل من عمر بن عبد العزيز، ولاشك إذا كان عمر بن عبد العزيز من الخلفاء الراشدين فإن معاوية أولى بهذا الوصف منه، ولكن التاريخ جاء فيه من التلفيق والكذب كما ذكر شيخ الإسلام، لما ذكر ما حصل بين الصحابة قال: منه ما هو صحيح، ولكن زيد فيه ونقص منه، ومنه ما هو كذب وافتراء، ولهذا التاريخ إذا لم يكن هناك سند صحيح الغالب أنه يأتي فيه أشياء من النقول التي لا تصح، والتضارب بين النقلة، فالذي يمدح سيذكر التاريخ على سبيل المدح والثناء، والذي يقدح ويبغض يشوه التاريخ لصورة هذا الرجل على حسب ما انطوت عليه سريرته، ولكن معاوية ـرضي الله عنهـ من أفاضل الصحابة ومن كتاب الوحي ومن الأمراء والملوك الذين عدلوا في الرعية وقاموا بهم سيرة مرضية وإن كان أسلم عام الفتح، يعني بعد الفتح وكان من مسلمة الفتح لا يضر ذلك ولاشك أن الصحابة ـرضي الله عنهم جميعاـ لهم من الفضائل ما لا يكون لغيرهم من الناس، هذا لا شك فيه، لكن فيما بينهم يتفاضلون، فالذين أسلموا قبل الفتح أعظم من الذين أسلموا بعد الفتح، ولهذا ماذا قال ـعز وجلـ: (7ÍÏ»ÿrÉ ÖÖG»%r ÖÖÖ

مقدمون على الأنصار، وقد جاءت النصوص بتقديم المهاجرين على الأنصار

﴿Í$ÁRF{$ûïÌÉ»gÜ$`Ï bqäRF{$Šc qàÒ¡9$﴾ [التوبة: ١٠٠]

ولهذا جاء في القرآن تقديم المهاجرين على الأنصار ولكن هنا لأجل النظم قدم، ولكن الأصل أن المهاجرين مقدمون على الأنصار، والمهاجرون هم الذين، مأخوذ من الهجر وهو الترك، وهم الذين تركوا أموالهم وديارهم وخرجوا من بلدانهم لأجل إقامة الدين، ولأجل نصرة الحق، ولهذا هم أيضا نصروا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ

﴿$ZqÊÍr «!$`Ï WÒù bqÁ6f ÒÎ0qÈr ÑÌÌ»fŠ `Ï {qã_ÌÉ ûïÌÉ»gÜ$ ûïÌÉ»gÜ$ ÄÌ•)ÒÌ﴾

﴿ÇÈ bqÈ‰»Á9$ÑÈ š• Í»9ré ÒÌqÊ'r ©$brÇÇZfr﴾ [الحشر: ٨]

فهم وإن كانوا مهاجرين فهم أيضا أنصار، لكن هذا الوصف هو الغالب حتى يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، والأنصار هم الأوس والخزرج أهل المدينة الذين نصروا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ وآووه، فلهم من الفضائل والمكانة العظيمة التي ينبغي لنا أن نعرفها وأن نعرف فضلهم وقدرهم ومقامهم وأن ندعو لهم، وحقهم على الأمة عظيم، ولهذا قال: ﴿ لما ذكر المهاجرين وذكر الأنصار وش ﴾ ﴿$Z/' šc qàÒ/ ÑÌÌ‰è/ .Ï rÊ` šú ïÏ%©!$﴾

قال بعدها؟ ﴿ $RqÒ7™ šú ïÏ%©!$$YÊqz\}r $Y9 ÒÒø$$Z/' šc qàÒ/ ÑÌÌ‰è/ .Ï rÊ` šú ïÏ%©!$﴾

﴿ÇÈ ÎÌÏmÏ§ÊÔ rÊ' 7Ò) $Y/' {qÃB#ä ûïÏ%©!$# yxÎ $ZÎqè 'Î ÔèqB ÏÏr Ç»JƒÏÏ%©!$﴾ [الحشر: ١٠]

فحقهم علينا أن نذكرهم بالجميل، وندعو لهم، لأنهم نصروا الدين ونصروا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ وحملوا الشرع، ونصحوا وبينوا، وأن تكون أيضا قلوبنا سليمة فلا تنطوي على بغضهم وعلى الحط من أقدارهم، ولهذا جمع الله ـعز وجلـ بين سلامة اللسان، وسلامة القلب للصحابة ـرضي الله عنهمـ بل لأهل الإيمان قاطبة، فالمؤمن يجب أن يسلم أهل الإيمان من لسانه، ومن يده، وأيضا أن يكون سليم القلب لإخوانه، ولهذا ﴿ {qÃB#ä ûïÏ%©!$# yxÎ $ZÎqè 'Î ÔèqB ÏÏr ﴾ فالذي يكون في قلبه غل وحقد وحسد وبغض للصحابة ـرضي الله عنهمـ أو يطعن فيهم هذا ليس من الذين ذكرهم

الله في هذه الآية، ولهذا لما وجد بعضهم يطعن في الصحابة قال له: هل أنت من أهل هذه الآية ﴿ûïÌÉ»gÌ3¨Ïà±•)ãÏ ûïÌÉ» ﴾ ؟ قال: لا، قال: هل أنت من أهل الآية التي بعدها ﴿ûïÍ‰ ﴾ قال: لا، قال: وأنا أشهد أنك لست من أهل هذه الآية ﴿ `»JƒÏM‹Ïè‘ #$!$ râ§?ÏŵÇ»JƒÏM‹Ïè $Rqà)7™ šú ïÍ‰Ïè$YÏ‰qÍz\}r $Y9 ÏÏ‰ô$$Z/‘ šc qè%qà)ƒ ÏÏÏ‰è/ .Ïè râ` šú ïÍ‰Ïè ﴾ ÇÈ ÏÏm§ÏÏ rã‘ 7Ï) $Y/‘ ÏqÈB#ä ûïÍ‰Ïè yxÏ $ZÏqè’Ï ÏèÏB﴾ .

يقول هنا: (والهاجرون ديارهم) يعني التاركون ديارهم (بنصرتهم عن كية النار زحزحوا) عن كية النار يعني عن عذاب النار زحزحوا يعني أبعدوا، وتمام النجاة أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة ﴿ÏÏ4$Ù‰Ïè$Br –$ù Ïè)ù pY f Ïè$ÏÅ$ÏÏ f$Y9$Çã yÌÏã `Jù﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿ÇÏÈ f ÏÏè$ÏB»FB ÏÏ) $<Ï$!$﴾

(ومن بعدهم) يعني بعد الصحابة ـرضي الله عنهمـ في الفضل والمقام والقدر (فالتابعون) والتابعي هو من رأى الصحابة ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ، هذا يسمى تابعي، إذا رآهم مؤمنا فهذا يسمى تابعي، ومعلوم أن أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل وبعد الصحابة من هم؟ التابعون بإحسان، ليس كل تابعي، بل التابعي بإحسان، ولهذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم » والذين يلونهم هم التابعون، والسبب لحسن ما فعلوه من الاقتداء في أفعالهم وأقوالهم بمن سبقهم من الصحابة ـرضي الله عنهم الذين أخذوا ذلك عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ فأفلحوا، ولاشك أن من أخذ بالكتاب والسنة وعرف قدر الصحابة ـرضي الله عنهمـ وعرف مقامهم وفضائلهم وعلمهم وفقههم، وأحبهم وترضى عنهم ونصرهم، لاشك أن الله ـعز وجلـ يوفقه للفلاح والثبات على الحق.

قال: (ومالك والثوري) ذكر بعض الأمثلة على التابعين ومن تبعهم، ولهذا هو يذكر التابعون ومن سار على نهجهم من أتباع التابعين إلى يومنا هذا، مالك بن أنس الأصبحي الإمام إمام دار الهجرة، والثوري سفيان الثوري المعروف (ثم أخوهم أبو عمرو

الأوزاعي) وهذا إمام أهل الشام (ذاك المسبح) يعني من كثرة التسبيح (ومن بعدهم فالشافعي) هذا بعدهم لأن الشافعي تلميذ الإمام مالك محمد بن إدريس الشافعي (وأحمد) الإمام أحمد إمام أهل السنة في عصره، قال: (إمام هدى من يتبع الحق ينصح) وصدق، أن الذي يتبع الحق وينتهي بالحق ينصح للأمة، ويصدق معهم في نصحه لأنه يريد نجاتهم، ويريد فلاحهم، لا يريد منهم أجرا، ولا ثوابا، وإنما يريد نجاتهم وفوزهم وفلاحهم (أولئك قوم قد عفا الله عنهم فأحببهم فإنك تفرح) أولئك قوم قد عفا الله عنهم، قوله هنا: (قد عفا الله عنهم) خبر لكن الذي يظهر أنه قد أراد به الدعاء يعني نسأل الله أن يعفو عنهم أما الجزم بأن الله قد عفا عن هؤلاء نرجو ونأمل ونظن بالله ـعز وجلـ الظن الحسن ولكنك أن تجزم لأحد لم يأت في النصوص الجزم له فإن الأظهر من أقوال أهل العلم أنه لا يجزم لأحد إلا لمن دل الدليل على أنه من أهل الجنة وأن الله قد رضي عنهم وعفا عنه، ولذلك قوله هنا: (أولئك قوم قد عفا الله عنهم) لعله أراد به الدعاء، ومعلوم أن الدعاء أحيانا يأتي بصيغة الخبر، يعني يأتي الخبر والمراد به الإنشاء.

(فأحببهم فإنك تفرح) وهذا هو الواجب أن نحب أهل الإيمان وكلما عظم فضلهم ومقامهم وحسن بلائهم في الإسلام عظم قدرهم وعظمت محبتهم في القلوب، فإن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فكيف إذا كان من أهل العلم من الناصحين؟! كيف إذا كان من الصحابة أو من التابعين؟! فلاشك أن محبة أهل الإيمان واجبة وقد قال ـعليه الصلاة والسلامـ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » من استكمل هذه الخصال الثلاث وجد طعم الإيمان، وحلاوته، ولذته، ومن هذه الخصال والصفات أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ثم قال: (وقل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طعانا تعيب وتجرح، فقد نطق الوحي المبين بفضلهم وفي الفتح آي للصحابة تمدح) هنا انتقل إلى مسألة وهي الصحابة ـرضي الله عنهمـ يجب أن نذكرهم بالجميل كما تقدم لكم.

وألا نطعن فيهم، وألا نقع فيهم، وألا نحط من أقدارهم، وقد مدحهم الله ورضي عنهم ورفع ذكرهم ومقامهم، فالطعن فيهم علامة أهل البدع والضلال، ومحبتهم ونشر فضائلهم طريقة أهل السنة، حتى ما شجر بين الصحابة ـرضي الله عنهمـوما حصل بينهم من الفتن التي حدثت الحروب بين علي ـرضي الله عنهـ ومعاوية ـرضي الله عنهـ يجب أن تطوى ولا تروى، ولهذا ليس من منهج أهل السنة أن نخوض فيما حدث بينهم، ولهم من الحسنات العظيمة ما تكون هذه ذرة في بحر حسناتهم، ولهم من السابقية في الإسلام ومن المقام ومن التوبة ومن الحسنات ما يعفو الله ـعز وجلـ بها، ولهذا يقول شيخ الإسلام إنهم اجتهدوا فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، وهم متأولون ـرضي الله عنهمـ فعلى كل حال الصحابة ـرضي الله عنهمـ لا يجوز أبدا أن نروي ما حدث بينهم من خلاف، لأن هذا لا مصلحة فيه، ولأنه ربما أثار الضغائن في قلوب الناس على بعض الصحابة وربما وقع في شيء تكون به هلكته، فالواجب هو الترضي عليهم وعدم ذكر ما شجر بينهم، لأن ما شجر بينهم منه ما هو صحيح من جهة أصله، لكن زيد فيه ونقص منه، ومنه ما هو باطل من أصله، ثم ما ثبت من ذلك القدر فإن لهم من الحسنات والسابقية وإحداث التوبة إلى غير ذلك ما يعفو الله ـعز وجلـ عنهم بها، ولهذا لما سئل عمر بن عبد العزيز عن ما حدث بين الصحابة وغيره أيضا قال: تلك فتنة سلمت منها سيوفنا فلتسلم منها ألسنتنا، وعلى هذا ما حدث من ذكر ما حدث بين الصحابة في أشرطة كل هذا خطأ وغلط، ولا يجوز هذا وهذا ليس من منهج أهل العلم وليس من منهج أهل السنة ولكن الذي قال وجمعها حاطب ليل، ولهذا ينبغي أن يعرف أهل السنة، أهل السنة لا ينقلون الشيء إلا للرد والإيضاح، أما أن تذكر في أشرطة سيارة أو كتب توزع على الناس هذا من الغلط والخطأ واتهام الصحابة ـرضي الله عنهمـ بأشياء هم منها براء بناء

على ما ذكر في كتب التاريخ، ومعلوم أن كتب التاريخ فيه الغث وفيه السمين، ولهذا قال: (وقل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طعانا تعيب وتجرح) وهذا هو شأن الرافضة قبحهم الله، فإن من أعظم ما يتقربون به ويزعمون أنه قربة إلى الله ـعز وجلـ الطعن في الصحابة ـرضي الله عنهمـ بل تكفير الصحابة ـرضي الله عنهمـ إلا نفرا قليلا، وأعظم ما يفعلونه سب وتكفير الشيخين أبي بكر وعمر، ويسمون أبا بكر وعمر صنمي قريش، هم يأتون بافتراءات يسبون ويطعنون ولهذا لو قيل لليهود من أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين من يقولون؟ أصحاب موسى، ولو قيل للنصارى من أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين؟ لقالوا: أصحاب عيسى، ولو قيل من شر الناس؟ لقالوا: أصحاب النبي ـعليه الصلاة والسلامـ هذه مصائب فإن الطعن في الصحابة طعن في من؟ في الرسالة كلها، طعن في الله ـعز وجلـ وطعن في الرسول ـعليه الصلاة والسلامـ فالله ـعز وجلـ لم يختر لنبيه إلا هؤلاء لكن القوم ضلوا، وكما قيل: لا عقل ولا نقل، ولهذا ليس عندهم شيء إلا الكذب، ولهذا يقول الشعبي: لو أردت أن أملأ هذه الدار ذهبا من الرافضة لفعلت، قيل: كيف؟ قال: بالكذب، يقولون للعلماء: اكذب ونعطيك ما نريد، لأنه دين مبني على ماذا؟ على الكذب والافتراء ولكن كما قالت عائشة لما قيل: إن هناك من يطعن في أبي بكر وعمر، قالت: يا بني: انقطع عملهماـ يعني بالموتـ فساق الله من يعمل ويجري عليهم ذلك العمل، ولا يضر لا أبو بكر ولا عمر طعن هؤلاء ولكن المقصود معرفة هذه النحل ومعرفة الباطل ومعرفة أن أهل الباطل لا يمكن أن يجتمعوا مع أهل الحق أبدا مهما أظهروا، ولهذا احذر أن تكون طعانا تعيب وتجرح في الصحابة ـرضي الله عنهمـ أو في الأئمة الذين عرفوا بالفضل والإحسان ولهذا العلماء علماء السنة لهم مقام عظيم في الأمة فهم ورثة الأنبياء وحملة الشريعة فالطعن في العلماء كما هو حاصل اليوم الطعن في العلماء الربانيين إنما هو طعن في ماذا؟ فيما يحملونه من الشرع، وكذلك جعل المرجعية لمن؟ لغير العلماء، الآن يقولون علماء المسلمين من الشيخ الفوزان، المفتي، الشيخ ابن باز قبل، الشيخ محمد بن عثيمين إلى غيرهم من

العلماء الربانيين يقولون: هؤلاء علماء حيض ونفاس، ما يعرفون إلا هذا وهذه الكلمة يا إخوان ليست وليدة اليوم، روي عن عمرو بن لبيد المعتزلي المعروف أنه قال للزهري: أنت لا تعرف من العلم إلا ما كان تحت سراويل امرأتك، يعني الذي هو الحيض والنفاس، هذه مقالة أهل البدع في كل زمان ومكان، ومسائل الحيض والنفاس ليست بالأمر السهل، الله ـعز وجلـ ذكر في القرآن ﴿ÏÈ ÇÚöF{$# ÇÙÅ¡ãÏ9 ÇÚöF{$# ÇÊÈ

الذين يقولون عن الواقع، قلت: والله عندنا مسألة فرضية أو مسألة وصايا، أو مسألة أمور نكاح، أو في أمور بيوع، يقول: هذا الشيخ الفوزان اسأله، طيب: حدثت في الأمة أمور تتعلق بفتن وقضايا، لا تسألهم ما يعرفون وش هي؟ ومرادهم بهذا أنه إذا جاءت أيام الفتن والأزمات رجعوا لمن؟ ما رجعوا للعلماء، رجعوا لغير أهل العلم، فصدروا عن آرائهم التي لم تبن على نور من الله ـعز وجلـ لا على كتاب ولا على سنة، ثم وقعت الفتن والمصائب، وأنتم ترون اليوم المصائب، كنا نسمعها واليوم نعاصرها، من كان يتصور في يوم من الأيام أن هذه الجزيرة يخرج من يقدح في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ من كان يتصور هذا؟ من كان يتصور أن يأتي أناس اليوم وأنا جلست مع بعض هؤلاء، يقول: إن الكافر الأصلي لا نكفره بل نستفصل، والله سمعته بأذني وناقشت بعض هؤلاء، يقول: الكافر الأصلي ما نكفره، لأن هذا يحتاج إلى إقامة الحجة عليه وإلى آخره، هل أحد من أهل العلم المعتبرين أو من طلاب العلم الذين سلكوا منهج السلف يقول هذا القول؟ هذا خطر من لم يكفر الكفار فهو كافر، هذا كافر أصلي، والنصوص واضحة وبينة، يقول: لا في فرق بين التكذيب وبين الجحود إلى آخره، هذا كله خطأ وغلط وخلط، ولهذا يجب يا إخوان أن نحذر في أيام الفتن خاصة أن نتلقى عن من لم يعرف بالعلم، وأنتم تجدون أن هؤلاء يحرصون على من؟ على صغار السن، أو ما يلتزم الواحد يكون عنده قوة في حب الخير والحماس في الدين فأول ما يعلم ويلقى بغض العلماء الربانيين وبغض الحكام، ولهذا تجدون من يطعن في علمائنا ويطعن في الحكام، ويدعو للخروج عليهم بقوله، أو يقلل من قيمتهم عند الناس، في فرق بين معرفة حق ولي الأمر وبين المدح، المدح أمر آخر، لكن حقوق العلماء وحقوق ولاة الأمر هذا أمر آخر، ثم يأتون لهم بالمصائب التي تصيب المسلمين في أشرطة هذه تثير العواطف، ثم يأتون لهم بصور عن المجاهدين، ثم يثور، ثم ينظر إلى المجتمع بمنظار أسود، وأنتم ترون ما حدث في المحيا المجمع، وأخرجت هذه القناة الدجالة الجزيرة هؤلاء الشباب وهم يبتهجون بما أقدموا عليه ويرون أنه من أعظم أنواع الجهاد وأنه شهادة في سبيل الله ـعز وجلـ من

الذي جعل هذه المصائب تنصب في أذهانهم ويعتقدون اعتقادا بل ويرون أن من لم يعتقد هذا الاعتقاد أنه محابي أو أنه متخاذل أو أنه لا ينصر الدين من فعل هذا إلا هؤلاء الذين ابتليت بهم الأمة، وسروا في غفلة من أهل العلم، تسربوا، وصاروا يجتمعون كما قال الزهري: إذا رأيت قوما يجتمعون فيما بينهم ويتعلمون فيما بينهم فاعلم أنهم اجتمعوا على ضلالة.

أهل العلم ما يحتاجون أن يذهبوا إلى أماكن يختفون فيها عن أعين الناس، وإنما أهل العلم في مساجدهم في أماكنهم في بيوتهم، هذا علم وهذا شرع وندين الله ـعز وجلـ به، المقصود أن هذا كلام يطول، لكن كما ذكرت لكم أنه يجب أن نحذر من الطعن في علمائنا وفي ولاة أمرنا بل حتى بعض المنتسبين للعلم وقع فيما وقع فيه، تجدون أنهم يطعنون في العلماء لكن مع هذا تجد أنهم يتسامحون مع أصحاب البدع، وهذا رأيته، وأنتم رأيتم شيئا من ذلك، تجد أنه مع صاحب السنة يعني لا يطيق أن يجلس معه في مكان، ومع صاحب البدعة تجد أنه يأتي من الانبساط ومن الفرح به ما هو ظاهر بين، بل أحيانا يتنازل عن بعض الأساسيات، يقول بعضهم للرافضة لما حاضر عندهم الحسينية، قال لهم: ليس بيننا وبينكم شيء، وإنما الذي فرقنا، فرقتنا السياسة، سبحان الله ما بينكم وبينهم شيء، فرقتنا السياسة، وإذا كنتم تسبون أبا هريرة فسبوه بكيفكم، لكن لا تسبوه أمام الناس، سبوا أبا هريرة في أماكنكم، هل يقول هذا عاقل؟ هل يقول هذا إنسان تربى على المنهج السلفي؟ لكن ماذا نقول؟!

يقول: (فقد نطق الوحي المبين بفضلهم) يعني بفضل الصحابة ـرضي الله عنهمـ وهذا جاء في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة وفي الفتح يعني في سورة الفتح (آي للصحابة تمدح) سورة الفتح جاءت فيها آيات كثيرة تمدح الصحابة ـرضي الله عنهم وأرضاهمـ منها قوله ـعز وجلـ: ﴿ š• Rqãƒ$7ã ©) šú ÜÏÈ±S0$ Çã ª! $š_ Å ' ©)©*

Ç`ÑÈ $Y‰% $[s Gù ÑG6»O&r ÑÏÕã pZŠÅ¡ 9$A“R'ù ÑÏÕqè ’Î $B Ñèù ó• f ±9$MtB ﴾ [الفتح: ١٨]

وقال في آخر السورة ﴿ [illegible] ﴾ [الفتح: ٢٩]

والآيات كثيرة جدا، والنصوص كثيرة في الكتاب والسنة، فمن رفعهم الله وأثنى عليهم ورضي عنهم فيكف يقدح فيه؟! وكيف نجرحه وقد زكاهم الله ورفعهم؟! ولهذا تجدون العلماء يقولون: الصحابة ـرضي الله عنهمـ لا تضر جهالتهم، إذا وجدنا تابعي صرح بالسماع من هذا الصحابي، قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ـعليه الصلاة والسلامـ فلا يضر هنا جهالة هذا الصحابي وإبهام هذا الصحابي لا يضر لأنهم عدول عدلهم الله ومن عدله الله ما يحتاج إلى تعديل غيره ـعز وجلـ

ثم قال: (وبالقدر المقدور أيقن فإنه دعامة عقد الدين والدين أفيح) انتقل إلى أصل من أصول الإيمان وهو الإيمان بالقدر، الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، قد جاء في النصوص في الكتاب والسنة أن الله قدر المقادير ﴿ [illegible] ﴾ [القمر: ٤٩]

وقال النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لما سأله جبريل عن الإيمان قال: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره » فالقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الاعتقاد فيجب أن تؤمن بهذا، ومعلوم أن القدر له مراتب أربعة يجب الإيمان بها ويجب أن نعتقدها.

الأول: الإيمان بعلم الله ـعز وجلـ الشامل الكامل، وأن الله علم كل شيء، ولا يخفى عنه شيء، فعلم الله ـعز وجلـ شامل كامل تام، لم يسبق لا بجهل، ولا يعتريه

نسيان ولا خطأ فهو يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو شاء أن يكون كيف يكون، قال الله _عز وجل_: ﴿ZÏ$6z ÷ÞÎ) ÏÌÄÞÏ#– $B /ä3Ï ÏÌ ÏÌ ÏÌ

هذه أربعة أشياء وهي مراتب القدر جمعها بعضهم في بيت، وينبغي لطالب العلم مثل هذه الضوابط أن يحفظها حتى تسهل عليه مثل هذه الأشياء، (علم) هذا أشار إلى المرتبة الأولى وهي عموم علمه ـعز وجلـ وأن علمه شامل كامل، (كتابة مولانا) المرتبة الثانية وهي مرتبة الكتابة، (مشيئته) عموم المشيئة، (وخلقه وهو إيجاد وتكوين) وهو الخلق هذه الأربعة، إذاً لابد من الإيمان بالقضاء والقدر، وأن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث، ولكن يجب أن تعمل ولا تعتمد على ما كتب في اللوح المحفوظ، والاحتجاج بالقضاء والقدر وترك العمل هو مسلك أهل الباطل وأهل البدع والضلال، ولهذا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لما سئل هل العمل في أمر قد فرغ منه أو أمر مستأنف، قال: « في أمر قد فرغ منه » قد قال ـعليه الصلاة والسلامـ : « ما من نفس منفوسة إلا وقد علم مكانها في الجنة أو في النار » ولهذا قال الرجل: ألا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ ماذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ؟ قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » الواجب هو العمل، وأما الخوض في القدر زيادة على ما جاءت به النصوص هذا يجعل الإنسان يقع في ضلال وفي خطأ وفي حيرة، ولهذا يقول ابن القيم ـرحمه اللهـ فيما ذكره عن ابن عقيل الحنبلي، يقول: إنه ذكر كلمة الإمام أحمد لما قيل للإمام أحمد: وش القدر؟ قال: قدرة الله، فابن عقيل استحسن هذه الكلمة واستعظمها من الإمام أحمد وأثنى ابن القيم على هذه المقالة، هذه قدرة الله إنه يهدي فلانا، وفلانا لا يهديه، ويرزق فلانا، ويوسع على فلان، ويضيق على فلان، كل هذه بقضاء الله وقدره، فالواجب عليك هو العمل وعدم الالتفات إلى ما سيؤول الأمر إليه لأنه غيب، ولا تبحث في الأمور المغيبة، فأنت من جهة العمل مأمور، ومن جهة القدر هناك أصول عليك أن تعتقدها وأن تؤمن بها ولا تخوض، لا تخض في غير ذلك، كون إن الله ـعز وجلـ علم أو كتب ما سيعمله الخلق وعلم ذلك وكتبه وشاءه فإن هذا كله لا يوجب بل لا يشرع للإنسان أن يدع العمل اعتمادا على الكتاب كما بين النبي ـعليه الصلاة والسلامـ ولهذا قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » والقدر لا يجوز للإنسان

أن يحتج به إلا في مسألتين كما ذكر ابن القيم في شفاء العليل، الاحتجاج بالقدر خطأ ولا يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر إلا في مسألتين.

المسألة الأولى: أن يحتج بالقدر في المصائب، إذا وقعت مصيبة فإذا قال: هذا قدر الله هذا نعم، هذا قدر الله، ولهذا يقول ـعليه الصلاة والسلامـ: « ولا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله » يعني هذا قدر الله، « وما شاء فعل » فالاحتجاج بالقدر في المصائب هذا لا شيء فيه، قد احتج آدم، حاج آدم موسى لما قال: « أتجد هذا مكتوبا علي » لأن إخراجه من الجنة مصيبة أو لا؟ مصيبة.

والمسألة الثانية: أنه يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر على المعائب يعني على المعاصي إذا تاب منها، إذا تاب منها نعم، مثل إنسان وقع في شيء من المعاصي ثم تاب ورجع إلى الله واستقام، ويأتي إنسان ويقول: أنت الذي كنت تفعل كذا وكذا، ألست صاحب السوابق التي فعلتها، فيقول: هذا مقدر علي، فالاحتجاج بالقدر في هذه المسألة لا شيء فيه، وقد يؤخذ هذا من فعل من؟ آدم لأن آدم احتج بالقدر على ماذا؟ على معصية تاب منها، هذا لا شيء فيه، وإنما يبقى المنع في ماذا؟ أن يحتج بالقدر على معصية لم يتب منها، يفعل المعصية وإذا قيل: تب يا أخي، قال: ما الله كتب لي الهداية، لو شاء الله ما فعلت هذه، كما قال المشركون ﴿ ¨wr $Rø‹Ï/#ä ¨wr $Yò2 ÏŒÎ* $B ª! $ä©Ó¨ ¨ø9 {qäÜÏ© ¨ûÏ¹ÖÕ$Ãqà‹™ ﴾

ÏŒÎ* $ZÊÖ¨ ¨Ï« ¨`Ï B $ZÊÖ¨ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

فهم يحتجون بالقدر، مع أن هؤلاء الذين يحتجون بالقدر لا يحتجون بالقدر في أمور الدنيا، لو جاء أحد وأخذ ماله، يقول: إن الله كاتب علي أن آخذ مالك، يتركه، أبدا، ولو قيل: هذا طريق وهذا طريق تؤدي إلى مكان واحد، لكن هذا طريق سالك، وهذا طريق فيه مصائب وفيه بلايا، وش يختار؟ هو يعرف ما يحتج بالقضاء والقدر، يقول: أمشي هذا الله قدر هذا، يعلم، ومعلوم أن القدر ضلت فيه طائفتان، طائفة غلت في إثباته، وطائفة غلت في نفيه، فالذين غلوا في النفي هم القدرية نفاة القدر هؤلاء يقولون:

إن الله لم يقدر شيئا وإن الله ـعز وجلـ لا يعلم بشيء مما يقع إلا بعد وقوعه، ولهذا يقولون: إن الأمر أنف يعني مستأنف، الله لا يعلم شيئا يقولون: إلا بعد أن يقع، إذا وقع علمه الله ـعز وجلـ، والعبد يخلق فعل نفسه فيخرجون ماذا؟ فعل العبد من عموم قوله ـعز وجلـ ﴿ÇÏÈ @«Ïr ãÓ« @ä 4?ã qèr ãÓ« @à2 ßÎ»z ª! $﴾ [الزمر: ٦٢]

يقولون: لا ما يدخل فيه إيش؟ ما يدخل فيه عمل العبد، ولهذا يجعلون الأعمال ليست داخلة في خلق الله ـعز وجلـ وفي تقديره، وأن الله لا يعلم هذه الأشياء إلا بعد أن تقع، هذا ضلال، ولهذا تجدون أن هؤلاء أنكروا العلم وأنكروا الكتابة وكذلك المشيئة والخلق، وهؤلاء هم كفار كما نص عليهم أهل العلم، شيخ الإسلام يقول: من أنكر الدرجتين أو المرتبتين مرتبة العلم والكتابة فإنهم كفار، ولهذا قال الشافعي ـرحمه اللهـ: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وأن أنكروه كفروا، ناظروهم بالعلم يعني بعلم الله ـعز وجلـ، هل يعلم الرب ـعز وجلـ ما سيقع، هل يعلم بهذه الأمور؟ إن قالوا: نعم، خصموا، وإن قالوا: لا، كفروا، لأنهم رموا الرب ـعز وجلـ بالنقص والعيب وهو الجهل أنه لا يعلم شيئا من ذلك.

والطائفة الثانية: غلوا في الإثبات وهم الجبرية، قالوا: العبد مجبور ليس له اختيار، فكل ما يعمله من معصية أو طاعة هو ممتثل لله ـعز وجلـ لأي شيء؟ قالوا: للقدر، هذا أمر مقدر عليه، ولا يمكن أن ينفك عنه، فهو مجبور، ولهذا عندهم المصلي ممتثل، والزاني ممتثل، المؤمن ممتثل والكافر ممتثل، ولهذا جعلوا الإيمان شيئا واحدا، ولهذا يقول ابن القيم في النونية:

والناس في الإيمان شيء واحـــد كالمشط عند تماثل الأسنان

يعني عند هؤلاء، سواء، فجعلوا الإيمان واحدا بناء على هذه القاعدة.

والعبد عندهـــم ليس بفاعـــل بل فعله كتحرك الرجفان

والعبد عندهم ليس بفاعل ، طيب هذه الأعمال التي تقع منه، قال: بل فعله كتحرك الرجفان، المريض الذي ترتجف يده ترتعش، هل له اختيار؟ ما له اختيار، هذا

شيء خارج عن اختياره، يقول: فعلهم للمعاصي مثل هذا المرتعش، هذا لاشك أنه ضلال معنى هذا أن الله جبرهم على شيء وعذبهم عليه، فالله ـعز وجلـ لا يخرجون عن مشيئته، ولكنه جعل لهم اختيارا، ولهذا قال ـعز وجلـ: ﴿ ä$±„ b& tw) brâ$±ø $Br $ ¡ ª ‘ ¨Ù=è%$• ÇÊ šú ïÙ ﴾ [التكوير: ٢٩]

فجعل لهم إيش؟ مشيئة، قال: ﴿ ÇÊ ÈÈ ¤‰%Ÿ2$ÿ¨ÿ‰dr ﴾ [البلد: ١٠] فهو يختار ولهذا العبد مسير أو مخير؟ مسير ومخير، أما كونه العبد مسير ما هو مخير ما هو بصحيح هذا، مسير مخير، هو مسير أنه لا يخرج عن إيش؟ عن مشيئة الله ـعز وجلـ، لكنه مخير لأن له مشيئة واختيارا، فالطائع الذي يطيع الله ـعز وجلـ والعاصي الذي يعصي الله ـعز وجلـ هل أحد أجبرهم أو هو الذي اختار هذا وهذا، الإنسان في أمور الدنيا يختار الأصلح، لو قيل له في وظيفة راتبها عشرة آلاف ريال، ووظيفة راتبها خمسة آلاف ريال وش يأخذ ؟ العشرة آلاف، لأن له اختيار، وله مشيئة وله قدرة، وله عمل، وله كسب، وله فعل، ولهذا يحاسبون على هذا ، وأهل السنة يقولون: إن العبد له مشيئة وله عمل ينسب إليه، لكنه لا يخرج عن عموم مشيئة الله ـعز وجلـ، ولا يقع في ملكه إلا ما شاء، ولهذا عمرو بن عبيد معروف هذا الرجل من أئمة الضلال وهو ممن يقول بهذا القول، ويقول: إن أعمال العبد لا تدخل في قدرة الله ـعز وجلـ خارجة، بل هو الذي يعمل ما يريد فهو من أئمة القدرية، الذين يقولون بنفي القدر، جلس في المسجد في يوم من الأيام فجاءه رجل، ذكر هذا ابن أبي العز في شرح الطحاوية جاءه رجل أعرابي دخل وجد عمرو بن عبيد عنده حلقة، عمرو بن عبيد هذا الرجل على شره وبلائه كان من أزهد الناس في الدنيا وأبعدهم عما في أيدي الناس، ولكن كما قال ابن كثير والذهبي لما ذكر عمرو بن عبيد وذكر زهده قال: ولكنه أخبث القوم، وش ينفع الزهد مع خبث المعتقد، دخل هذا الرجل الأعرابي بفطرته، رأى هيئته وقال: يا إمام لقد سرق بعيري أو ضل بعيري، فادع الله ـعز وجلـ أن يرده علي، فرع يديه ودعا، اسمعوا هذا الدعاء

الذي صاحب الفطرة الذي ما عنده علم ما يستسيغه، قال: اللهم إنك لم ترد أن يسرق أو يضل بعير هذا الرجل، اللهم فرده عليه، قال الأعرابي: لا، ما يحتاج، لا تدع لي، قال: لمه؟ قال: ما أراد أن يسرق أو يضل فضل، يمكن يريد أن يرده ولا يرجع، هو فهم إيش؟ إن هذا المقال ما يناسب أو هذا الدعاء ما يناسب مقام الرب ـعز وجلـ، أن الله ما أراد الشيء ووقع في كونه ما لا يريد، فلا يقع في كون الله ـعز وجلـ لا يقع في الخلق شيء لا يريده الله ـعز وجلـ، فكل ما يقع بإرادة الله، ولهذا الإرادة الكونية يقع فيها ما يحبه الله وما لا يحبه ـعز وجلـ، وفرق بين الإرادة الكونية التي هي المشيئة، والإرادة وبين الإرادة الشرعية فلا يخلط بين هذا وهذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، أما بعد.

فقال الإمام ابن أبي داود في حائيته:

ولا تنكرن جهلا نكيرا ومنكرا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح
وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من النار أجسادا من الفحم تطرح
على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كحبة حميل السيل إذ جاء يطفح
وإن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حق موضح
ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفح
ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح
ولا تك مرجيا لعوبا بدينه ... ألا إنما المرجي بالدين يمرح
وقل: إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مصرح
وينقص طورا بالمعاصي وتارة ... بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تك من قوم تلهوا بدينهم ... فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيت وتصبح

الشَّرْحُ:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فقال الإمام ابن أبي داود ـرحمه الله تعالى ـ في منظومته الحائية يقول: (ولا تنكرن جهلا نكيرا ومنكرا ولا الحوض والميزان إنك تنصح) ذكر في هذا البيت ما يتعلق بأصل من أصول الاعتقاد وهو ما يتعلق باليوم الآخر، ومعلوم أن اليوم الآخر هو من أصول

الاعتقاد ومن أركان الإيمان، قد جاء هذا في النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في حديث جبريل الطويل المسمى بحديث أبي هريرة وعمر، أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لما سأله جبريل عن الإيمان قال: « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر » في بعض الروايات « والبعث بعد الموت » فالمقصود أن اليوم الآخر من أصول الاعتقاد، واليوم الآخر يشمل الموت وما بعده، كما هو ظاهر كلام الأئمة ومنهم شيخ الإسلام، فالمقصود أن اليوم الآخر يتعلق بالموت وما بعده، وكل هذا يتعلق باليوم الآخر، فما يكون في القبر من نعيم وعذاب، وما يكون بعد ذلك من مسألة البعث والحساب والجزاء إلى آخره كل هذا يتعلق اليوم الآخر، فيجب على المؤمن أن يكون ذلك اليوم منه على بال، تجدون أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ يقرن بين الإيمان بالله واليوم الآخر في مواطن كثيرة، فمثلا قوله ـعليه الصلاة والسلامـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» إلخ في مواطن كثيرة، فإن الإنسان إذا علم أن هناك يوما آخر وأن هناك يوما يحاسب فيه العباد يبعثون يجازون، وأن ما عملوه في هذه الدنيا فإنهم سيجدونه بين يدي ربهم ـعز وجلـ ﴿ çÌÈ ¼çm¯Rr& ©!$# ÞOßgsÜÎ/ ¨bÎ) ©!$# ßìÅÒãƒ ÏM»t6ÍhŠsÙ çÌÈ ¼çm¯Rr& ©!$# ÞOßgsÜÎ/ ¨bÎ) ©!$# ßìÅÒãƒ ÏM»t6ÍhŠsÙ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ ٨] إذا علم المؤمن بهذا وازداد إيمانه حمله ذلك على البعد عن كل ما حرم الله ـعز وجلـ يبتعد عن المحرمات، ويحافظ على الواجبات، وكلما ضعف هذا الأصل في قلبه ازدادت رغبته في المحرمات، وتكاسل عن الطاعات، وهنا ذكر منكرا ونكيرا، كما قال هنا: (ولا تنكرن جهلا نكيرا ومنكرا) منكر ونكير جاء عند الترمذي وغيره أن أحدهما اسمه منكر والثاني نكير، وعلى هذا الحديث وهو حديث لا بأس به وقد صححه جمع من أهل العلم، ومنهم العلامة المحدث الألباني ـعليه رحمة الله تعالىـ والحديث لا بأس به، وعلى هذا فإن منكرا ونكيرا يتعلقان بالملكين اللذين يسألان في القبر، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومسألة السؤال في القبر هذا جاء في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما، لكن ذكر الاسم منكر ونكير هذا جاء في بعض الأحاديث، وأهل

العلم اختلفوا في مسألة ثبوت هذا الحديث الذي فيه اسم منكر ونكير هل هو ثابت أو ليس بثابت؟ فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه وصححه، ثم أيضا من رأى صحة الحديث اختلفوا في منكر ونكير، هل هما اسمان أو وصفان؟ ولذلك تجد بعض أهل العلم يقول: وإن ثبت هذا الحديث فإن كلمة منكر ونكير وصفان وليسا باسمين، وظاهر الحديث أن منكرا ونكيرا أنهما اسمان، على كل حال نؤمن بهذا، وأن هناك سؤالا في القبر، قد جاء في الأحاديث الصحيحة كما تقدم لكم والإنسان في قبره يسأل عن أصول ثلاثة وهي التي صنف المؤلف العلامة المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـعليه رحمة الله تعالىـ ألف كتابه العظيم ثلاثة الأصول، فهو يدور على ما يتعلق بالسؤال في القبر، فإن المقبور يسأل، الميت يسأل، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هذه ثلاثة الأصول التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـرحمه الله تعالىـ في كتابه ثلاثة الأصول، فالسؤال الأول عن المرسِل، وهو الرب ـعز وجلـ، والثاني عن المرسَل وهو النبي ـعليه الصلاة والسلامـ والثالث عما أرسل به وهو هذا الدين، ولهذا قوله هنا: يسأل من ربك يعني من معبودك؟ من إلهك الذي تعبده؟ من رسولك؟ من نبيك؟ المقصود أن هذا يقع في القبر وهو فتنة عظيمة، ولهذا قال الله ـعز وجلـ ﴿ª! $@Ôãr ô‰ÈÝ¡¡y$ † îr $<R‰9$ ô‰tGô©$ 'ÎÌ7$V9$ÉÎ)Ø7 ¨qÈB#ä šú ïÏ%©!$# ª! $ÈÌÏÜã

ª! $ÈÈ ãÅ±ƒ $B ª! $@èÿƒr šú ÜÎ»Ø9$ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

الأسئلة هذه واضحة بينة، أي إنسان الآن يسأل من ربك؟ يعرف من ربه، ومن نبيك؟ يعرف من نبيه، وهكذا دينه، لكن الأمر أعظم من هذا فتنة، فإن أهوال القبور قد يثبت الإنسان وقد لا يثبت، ولا يثبت إلا من ثبته الله ـعز وجلـ، ولا يثبت العبد إلا إذا كان في الدنيا ثابتا على هذه الأصول الثلاثة، أما إذا كان مضيعا مفرطا مرتابا شاكا، مقلدا، فإنه كما جاء في الحديث المرتاب يقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، ليس عنده اعتقاد جازم ولا انقياد، فالمقصود أن هذا نؤمن به، وقد جاء في الأحاديث الكثيرة ما يدل على أن القبر يتعلق به أمران، فتنة وعذاب، فالفتنة هي تقع

بالسؤال، والعذاب أمر آخر، ولهذا النبي ـعليه الصلاة والسلامـ كما في الأحاديث الصحيحة أرشد أمته أن يقولوا قبل أن ينصرفوا من صلاتهم قبل السلام يستعيذوا بالله من أربع، فذكر هذه الأربع فتنة المحيا والممات، وذكر فتنة المسيح الدجال، وذكر عذاب القبر، فالمقصود أن القبر له فتنة وله عذاب، فيجب أن نؤمن بهذا، وأن نعتقد هذا لأن هناك من أنكر ما يتعلق بالقبر من جهة السؤال، ومن جهة العذاب أو النعيم، ولكن الواجب أن يتمسك الإنسان بالنصوص، ولا تدخل عقلك في الأمور المغيبة، والله ـعز وجلـ مدح أهل الإيمان وجعل من أسباب الصفات التي يمدحون عليها أنهم يؤمنون بالغيب، فالإيمان بالغيب هو الذي يتمايز فيه الناس، أما الشيء المشاهد الحاضر فإن الإنسان يحمله عليه المشاهدة، لكن الشيء الغيبي الذي لا يراه ولا يدركه الآن يتفاوت الناس فيه، لكن المؤمن يعلم أن هذا الغيب حق، لأن الله ـعز وجلـ ذكره وبينه، ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثا، ولهذا يقول شيخ الإسلام ـرحمه الله تعالىـ : إن الأنبياء لم تأت بمحالات العقول، ولكن جاءت بمحارات العقول، العقل هنا لا يمكن أن يأتي في الشرع شيء محال، لكن كون العقل يحار في بعض الأشياء نعم، لأن عقل الإنسان قاصر، الجنة التي أعدها الله للمتقين ـنسأل الله أن نكون وإياكم من أهلها وإخواننا المسلمينـ ذكر الله فيها أن فيها قصورا، وأن فيها أنهارا، وأن فيها أشجارا، وأن فيها طيورا، إلخ، لكن هل ما ذكر في الجنة من هذه الأسماء موافق في اللفظ والحقيقة ما ذكر في الدنيا لما نشاهده؟ لا، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الله ـعز وجلـ قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت » ونحن بأعيننا نرى أشياء من هذه المسميات في الدنيا، لو كان الدار هي الدار في الآخرة والطعام هو الطعام في الآخرة، والطير هو الطير في الآخرة، ما قال: « ما لا عين رأت » لأننا رأينا أمثالها وأشباهها في الدنيا، لكن كما قال ابن عباس: ليس في الآخرة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط، ولهذا قال الله ـعز وجلـ في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قبل بشر» ما خطر على قلب بشر ما أعد الله من النعيم المقيم لأهل الجنة، هذه

أمور غيبية يجب على المؤمن أن يؤمن بذلك ولا يدخل بعقله كيف المقبور وهو في مكان ضيق يجلس، يعني يقعدانه، ويسألانه كيف يعذب، كيف ينعم؟ ومثل ما يقول بعض المخذولين إننا لو حفرنا القبر ما وجدنا شيئا من العذاب ولا شيئا من النعيم، لو كان الشيء يشاهد لم يكن من عالم، ما كان من عالم الغيب، والأصل فيما يتعلق بالقبور أنه غيبي، هذا الأصل كونه يظهر بعض الأشياء تظهر، فهذا قد يظهر من حكمة الله ـعز وجلـ ليطمأن أهل الإيمان، لكن ظهر أو لم يظهر فنحن نؤمن بذلك كله، وهذا هو الواجب على المؤمن.

أيضا الحوض والميزان وهذا يتعلق أيضا بالآخرة، معلوم أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ قد جاءت أحاديث كثيرة متواترة أن له حوضا ـعليه الصلاة والسلامـ وأن له ميذابان يصبان من نهر الكوثر في الجنة من هذا الحوض، وأن حوضه ـعليه الصلاة والسلامـ طوله شهر، وعرضه شهر، وأن ماءه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأن عليه كيزان كالنجوم، وفي رواية كعدد النجوم، الكيزان التي يشرب بها، فالنبي ـعليه الصلاة والسلامـ ذكر هذا، ولما قال للصحابة ـرضي الله عنهمـ « إنكم ستجدون بعدي أثرة قالوا: ما نفعل يا رسول الله؟ قال: اصبروا حتى تلقوني على الحوض » فالحوض ثابت بل إن أحاديثه متواترة، ورويت عن جمع كثير من الصحابة، فالمقصود أن الحوض هذه صفته، وقد بينها النبي ـعليه الصلاة والسلامـ وسترد هذه الأمة على هذا الحوض، فمن ورد على الحوض وشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا، لأنه من الجنة، وسيرد ويزاد عن الحوض، يرد أقوام من هذه الأمة فيقول ـعليه الصلاة والسلامـ : « أمتي أمتي » في رواية: « أصحابي أصحابي فيقولون: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وهنا تنبيه إلى أن الرافضة قبحهم الله يستدلون بمثل هذا الحديث على كفر الصحابة ـرضي الله عنهمـ وقالوا: إنهم يردون عن الحوض لأنه في بعض الروايات قال: «أصحابي قالوا: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، قالوا: هذا دليل على ماذا؟ على كفرهم، ولكن الرافضة هم أحق بهذا الوصف ولاشك، لأن الحديث قال: « إنك لا

تدري ما أحدثوا بعدك » والصحابة ـرضي الله عنهمـ ما أحدثوا شيئا بعده، وأما من كان منهم حصلت منه ردة، هذا أمره ظاهر، من غير وبدل هذا أمره ظاهر، لكن الكلام في الصحابة ـرضي الله عنهمـ فإنهم لم يغيروا، ولم يبدلوا، بل صدقوا الله ما عاهدوه في نصرتهم للدين، وقيامهم بالشرع، وثباتهم عليه، ولهذا في الحديث « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » وفي بعض الروايات « إنهم لا زالوا من بعدك رجعوا القهقرى » هذا صريح فيمن ارتد هذا واضح، فإن هناك أقوما ارتدوا بعد موت النبي ـعليه الصلاة والسلامـ حروب الردة واضحة وبينة، لكن الصحابة ـرضي الله عنهمـ ثبتوا على الحق ولم يغيروا ولم يبدلوا، ولكن هؤلاء يأتون بالعمومات ويتبعون المتشابه كما قال الله ـعز وجلـ:

﴿ ¾Ï¹ÍÌ'Ïù ãÅ¡øÿßJø9$# ÏZÏB÷sßJø9$# ãÅ¡øÿßJø9$# ãNÎgÎ/qè=è% ãNÏdÌõ3ãB ÏM»t6ÍhŠsÞ ÏM»¨Zy_ ÏM»¨Zy_ ÏM»¨Zy_

كل موحد يموت على التوحيد مصيره إلى الجنة، لكن منهم من يدخل الجنة ابتداء، ومنهم من يتأخر، ربما عذب بسبب ذنوبه ومعاصيه، لكن مصيره بعد ذلك إلى الجنة.

كذلك الميزان، لابد أيضا من الإيمان بالميزان، وهذا أيضا يتعلق بالآخرة والميزان ميزان حقيقي له كفتان، وتوزن فيه الأعمال ويوزن الأشخاص كما هو ظاهر النصوص والعبرة بالعمل ﴿ šc %Ÿ2 bÎr $¯øŒ© Ó‰ÿÏR ÏN≡uÏ Ÿ≈ù ÏpJ»ŠÉ)ÏÈ ÏQöqÏ Ÿ≈ÏÉ)ÏÈ ûÏÏ-qJ¯ÏÈ ÏŠÖÏRr ﴾ ÇÏÈ šú ÏÎÅ»m $YÎ 4".r $¯Ï $Y?% ÏŠöz ôÏ ÏÏm A$)ÏÈ [الأنبياء: ٤٧]

الموازين العدل، وجاء أيضا في حديث صاحب البطاقة وهو حديث صحيح، أن الميزان له كفتان، فالمقصود أن الميزان حق وأنه ثابت، وأن الأعمال توزن، وأن العامل يوزن، والعبرة بالعمل، ولهذا ﴿ ÇÏÈ ¼çmf #¯øz ÏŠÉ)ÏÈ ÏŠÉ)ÏÈ ÏJèf `Br ÇÏÈ ¼çmf #¯øz ÏŠÉ)ÏÈ ÏJèf `Jù ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]

حتى مثاقيل الذر وأقل توزن، من كان له شيء من الحسنات وإن كانت قليلة فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وكذلك المذنب إن لم يعف عنه فإنها لا تضيع مثقال ذرة من المعاصي، ولهذا ينبغي للإنسان الحذر فلا يعتقد شيئا من الطاعات وإن قل، ولا يحتقر شيئا من المعاصي وإن قل، الحذر فإن الإنسان أحيانا قد يعمل العمل الصالح وهو قليل لا يظن أن يبلغ ما بلغ، قد جاء في صحيح البخاري أن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ قال: « رأيت رجلا يتقلب بين أشجار الجنة وأنهارها » ماذا عمل هذا الرجل؟ « وجد شجرة شوك في طريق الناس فقال: لو أخرت هذا الشوك عن طريق الناس حتى لا يؤذي المسلمين ففعل ذلك فشكر الله له فأدخله الجنة » هذا عمل قليل، الإنسان لا يحتقر شيئا من الأعمال الصالحة، وأيضا لا تحتقر شيئا من الذنوب وإن قل، فكم من الذنوب التي يحتقرها العبد كانت سببا للهلكة، المرأة التي حبست هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، رآها النبي ـعليه الصلاة والسلامـ تعذب بالنار، فاحذر يا عبد الله من الذنوب وإن قلت ودقت، واحرص على الطاعات ولا تحتقر شيئا منها وإن

ندر وقل، فالمؤمن عليه أن يجتهد في الطاعات وأن يحذر من المعاصي والميزان هذا ميزان حقيقي كما تقدم لكم وقد أنكره طوائف من المبتدعة كالجهمية وأضرابهم، وجاءوا بكلمات بشعة، لا يليق بالإنسان أن يذكرها، على كل حال هذا حق أن الميزان حق وأن له كفتينن وأن الأعمال توزن، وأن العامل يوزن في أحاديث ونصوص كثيرة دلت على ذلك.

وقــل يخــرج الله العظــيم بفــضله ... من النار أجسادا من الفحم تطرح
على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كحبة حميل السيل إذ جاء يطفح

الشَّرْحُ:

ثم ذكر في البيت الذي بعده، هذا يتعلق بمسألة خروج الموحدين من النار ممن دخل في النار من أهل الذنوب والمعاصي، ومعلوم أن أصحاب المعاصي كما سيأتي أنهم إذا ماتوا على معاصيهم وهم أهل توحيد فيخشى عليهم، ويخاف عليهم، وليسوا بكفار، فإن الذنوب التي دون الكفر والشرك ليست مخرجة عن دائرة الإسلام، إنما الذي يخرج عن دائرة الإسلام النواقض، نواقض الدين، الوقوع في الشرك والكفر الأكبر، سواء في الاعتقاد أو في القول أو في العمل، أما الذنوب التي هي دون الشرك أو الشرك الأصغر، فهذا لا يخرج به صاحبه عن دائرة الإسلام، لكنه على خطر، يخشى عليه، ولهذا بعض الموحدين يدخل النار ويعذب في النار ويمكث في النار خلودا لكن له أمد وله نهاية، وأما الخلود الذي لا نهاية له فهذا خلود الكفار، وأما أهل التوحيد فلا يخلد أحد منهم خلودا لا يخرج من النار أبدا، لا يخلد خلود الكفار، وإنما يعذبون وينقون بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، ويخرجون بسبب توحيدهم، التوحيد له فضل عظيم على الموحدين ولو دخل الموحد النار، ففضل التوحيد على الموحد عظيم، لأنه وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، ولولا أنه موحد لخلد في النار مع الكفار، ولكن التوحيد له فضل على من دخل الجنة ابتداء وعلى من دخل الجنة بعد أن نقي وطهر وعذب بالنار، التوحيد له فضل على الموحد ولولا أنه موحد لما خرج من النار، فالمقصود أن الأحاديث الصحيحة دلت على ذلك وأن بعض الموحدين يعذب في النار، وأن النار تأكلهم إلا مواطن ومواضع السجود، فإن الموحد تأكله النار إلا أعضاء السجود السبعة، فلا تحرق وجهه ولا تحرق يديه ولا أطراف قدميه ولا ركبتيه، وهذا يبين عظم الصلاة، وعظم مقام الصلاة، وهذا يدل على

أنهم يعذبون ويخرج هؤلاء بعد ذلك، فمن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فإنه يخرج من النار بالشفاعات أو بفضل ورحمة أرحم الراحمين، لكن لا يخلد أحد في النار خلودا أبديا

وإن رسول الله للخلق شافع وقل في عذاب القبر حق موضح

الشَّرْحُ:

إلا الكفار، أما أهل التوحيد من دخل النار فإنه له أمد وله نهاية على هذا كما ذكر هنا الناظم أن الله يخرج من النار بفضله أجسادا من الفحم تطرح بعد أن احترقت في النار من العذاب والنكال، تخرج هذه الأجساد وقد اسودت من النار، ومن العذاب ومن الإحراق، فيلقون في نهر يسمى نهر الحياة، أو نهر الحيا هكذا جاء في الرواية، فتنبت أجسادهم كالحبة التي تكون مع السيل، فإن السيل إذا جاء يحمل ما يسمى بالحبة بعض الأعشاب، فيطرحها على حافتي الوادي والمسيل، فتنبت على أطرافه، فهؤلاء يلقون في نهر الحيا أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حمير السيل، ثم بعد ذلك إلى الجنة، فمصيرهم إلى الجنة.

قوله: (وإن رسول الله للخلق شافع وقل في عذاب القبر حق موضح) انتقل إلى ما يتعلق بالشفاعة، ومعلوم أن النبي _عليه الصلاة والسلام_ له شفاعات خاصة به _عليه الصلاة والسلام_ وهذه الشفاعات ثلاث منها مجمع على أنها خاصة به، وهناك ثلاث شفاعات مختلف هل هي خاصة به أو لا؟ لكن التحقيق أن هذه الشفاعات الثلاث فقط هي التي مجمع على أنها خاصة به _عليه الصلاة والسلام_ وأعظم هذه الشفاعات شفاعته _عليه الصلاة والسلام_ في أهل الموقف، فإن الناس في عرصات القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، تدنو الشمس على رؤوس العباد قدر الميل فإن الأمم يقولون: اذهبوا إلى آدم إلى أبينا آدم ليشفع في الناس حتى يقضى بينهم، فقط في القضاء والفصل، فيذهبون إلى آدم ويذكرون فضله وأن الله خلقه بيده، فيقول: إني أذنبت ذنبا وإن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله، اذهبوا إلى نوح أول رسول، يأتون إلى نوح فيعتذر كما هو معلوم، ثم يأتون إلى إبراهيم، ثم يأتون إلى موسى، ثم يأتون إلى عيسى، وهؤلاء الذين ذكروا في هذا الحديث ما عدا آدم هم أولو

العزم من الرسل الخمسة، ثم يأتون إلى النبي ـعليه الصلاة والسلامـ فيقول ـعليه الصلاة والسلامـ « أنا لها » يقول: « ثم آتي وأستأذن ربي » لأنه لا يشفع أحد إلا بإذن الله ـعز وجلـ فيسجد تحت العرش يقول: « ويفتح الله علي بمحامد لا أحسنها الآن ويمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يقول الرب ـعز وجلـ يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع » فيشفع في أهل الموقف بأن يقضى ما بينهم، هذا هو المقام المحمود، المقام العظيم الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، وقد ذكر أهل العلم أن السر ـوالله أعلمـ أنهم لم يأتوا إليه مباشرة وإنما جاءوا إلى هؤلاء وهم أولو العزم من الرسل وإلى أبي البشر حتى يتبين لهم أنه أفضل الخلق ـعليه الصلاة والسلامـ فإن هؤلاء الرسل الذين مقامهم عظيم ومنزلتهم عالية ما استطاع أحد منهم أن يشفع، لا آدم الذي خلقه الله بيده ـعليه الصلاة والسلامـ ولا نوح أول الرسل ـعليه الصلاة والسلامـ ولا أبو الأنبياء إبراهيم خليل الله وهو خليل ما استطاع أن يشفع، ولا موسى الكليم، ولا عيسى، فإذا اعتذر هؤلاء ولم يستطيعوا أن يشفعوا للناس في ذلك الموطن العظيم، ثم جاء نبينا ـعليه الصلاة والسلامـ فشفع دل على عظم مقامه، وهذا المقام المحمود، المقام العظيم الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ـعليه الصلاة والسلامـ، هذه شفاعة خاصة، وهذه الشفاعة يدخل فيها المؤمن والكافر، وهذه الشفاعة ليست منفية عن الكفار لأن الشفاعة المنفية عن الكفار الشفاعة التي فيها نجاتهم، أما هذه ليس فيها نجاتهم، هذه فيها فصل، فيها محاسبة، فيها قضاء بين العباد، وليس فيها وهم دخلوا في هذه الشفاعة العظيمة من أجل الفصل بين العباد والقضاء، والمحاسبة والمجازاة، ولكن الكافر لا يمكن أن تكون له شفاعة ينجو بها من العذاب.

أيضا من الشفاعات الخاصة به ـعليه الصلاة والسلامـ شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط حبسوا في قنطرة عند باب الجنة، ويجدون أبواب الجنة مغلقة، فيأتون إلى النبي ـعليه الصلاة والسلامـ كما هو معلوم في الحديث فيشفع لهم، ولهذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ آتي إلى باب الجنة فأحرك حلقها،

فيقال: من؟ فأقول: محمد ـعليه الصلاة والسلامـ فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد من قبلك، فالجنة لا أحد يدخلها لا من الأنبياء ولا من غيرهم إلا بعد دخول النبي ـعليه الصلاة والسلامـ، فأول الخلق دخولا هو النبي ـعليه الصلاة والسلامـ بل هو الذي يشفع لهم في أن تفتح لهم أبواب الجنة، وأمته أول الأمم دخولا هذا لا إشكال، ولهذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » اختلف أهل العلم هل أمة محمد تدخل قبل الأنبياء والمرسلين أو أن الأنبياء والمرسلين يدخلون بعد النبي ـعليه الصلاة والسلامـ فيكون الدخول الأول للأنبياء والمرسلين ثم الدخول بعد ذلك للأمم؟ على خلاف، على كل حال حتى لو قيل إن هذه الأمة تدخل قبل الأنبياء والمرسلين فإن دخولهم ليس معناه أنهم أفضل من الأنبياء والمرسلين، لكنهم تبعا لمن؟ للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ، فعلى كل حال هذه شفاعة خاصة أيضا.

من الشفاعات الخاصة به ـعليه الصلاة والسلامـ شفاعته في عمه أبي طالب، وعمه أبو طالب مات على الكفر، فإن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لا زال به يعرض عليه الدخول في الإسلام ولكن الله ـعز وجلـ لم يشأ أن يكون أبو طالب من المؤمنين، ولهذا جاءه وهو على فراش الموت يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، لكن ما وفق لهذه الكلمة فمات على الكفر ومات على دين آبائه الذين مضوا على عبادة الأصنام وتعظيمها، فلما سئل ـعليه الصلاة والسلامـ قيل له: إن أبا طالب كان يحميك ويذب عنك ويزود عنك فهل نفعته بشيء ؟ قال : نعم، لولا أنا لكان في غمرات النار لكن الله جعله بشفاعتي أخف أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه لا يرى أن أحدا أشد منه عذابا، هم في عذاب ونكال هذه خاصة، وهذه خاصة به ـعليه الصلاة والسلامـ وفيها تخفيف وليس فيها نجاة ودخول إلى الجنة أما الشفاعة في أن يكون الكافر من أهل الجنة هذه بالإجماع لكن هذه شفاعة خاصة بالنبي ـعليه الصلاة والسلامـ .

أيضا من الشفاعات التي ذكرها أهل العلم وهي مسألة مختلف فيها شفاعته _عليه الصلاة والسلام_ للمعذبين في القبر فإن النبي _عليه الصلاة والسلام_ كما سيأتي مر على قبرين يعذبان قال: « إنهما يعذبان » كما في حديث ابن عباس في الصحيحين «فدعا _عليه الصلاة والسلام_ بجريد من نخل فشقه نصفين وجعل على هذا نصفا وهذا نصفا وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » جاء في بعض روايات الصحيح عند مسلم أنه قال: « فلعله أن يخفف عنهما بشفاعتي » فعلى كل حال بعض أهل العلم يقول: إن هذا خاص به _عليه الصلاة والسلام_ فلا يفعل مع القبور ولا يوضع على القبور شيء من ذلك، هذا لا شك أنه هو الصحيح، أن وضع غصن أو وضع شجر على نفس القبر لعله أن يخفف عنه، هذا خطأ من وجهين.

الوجه الأول: أن فعله _عليه الصلاة والسلام_ نبه به إلى أنه من شفاعته يخفف عنهما بشفاعتي يقول _عليه الصلاة والسلام_.

والأمر الثاني: أن فيه إساءة ظن بالمقبور، ما يدريك أنه يعذب، ما يدريك؟ لعله ينعم، فوضع هذا عليه كأنك أسأت الظن به، ولهذا لم يفعله الصحابة _رضي الله عنهم_ ومن فعله فإنه قد اجتهد وأخطأ، بل أعظم من هذا أن السيوطي قال: إن هذا الحديث _حديث وضع الجريد على القبر_ قال: إنه دليل على قراءة القرآن أنها مشروعة على الموتى على القبور، فيقول: قراءة القرآن عند القبر مشروعة، وش الدليل؟ قال: هذا الفعل، فإن النبي _عليه الصلاة والسلام_ علق التخفيف، قال: « ما لم ييبسا » لأنه رطب، قال: « ما لم ييبسا » والسبب؟ قال: لأنه إذا يبس فإنه يعتبر بمثابة الموت، ومعلوم أن كل ما كان رطبا جريد أو فإنه يسبح لأنه في عداد الأحياء فإذا يبس مات، فيقول:

﴿ ¾ÍÏ‰ÖÖÏ‹tƒ ©!$# ¨bÎ) ©ÅÓè% `ÏB ÏÌÎ/ ﴾ [الإسراء: ٤٤]

إذاً وضع هذا الجذع أو هذا الجريد الرطب وتعليقه بما لم ييبسا دليل على أنه نفع الميت تسبيح هذا الجذع، فكيف بتسبيح المكلف، كيف بقراءة القرآن هذا من العجب، من قال هذا؟ وهل هناك دليل يدل على أن الشجر إذا كان خشبا أنه لا يسبح؟ ما في

دليل، الله ـعز وجلـ (¾íÏ‰Ktž ®ÊÎm¸ç¨ÊÎ) ãÓ« `Ï ®ÊÎr) هذه ألفاظ عامة، وكونه يكون تعليقه بهذا إذا يبس لم يسبح هذا أمر غيبي، لكن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ جعل هذه الشفاعة إلى أمد، وهذا الأمد متعلق بكون هذا رطب حتى يكون يابسا، لكن ليس فيه ذكر الدعاء أو أنه يستغفر، بل إن النصوص عامة دالة على العموم وأنه يسبح في حال كونه رطبا أو يابسا، ولكن من يتعلق بمثل هذه الأشياء يأتي بالعجائب والغرائب.

وهناك شفاعات مشتركة، الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها، والشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، والشفاعة فيمن دخل الجنة في رفعة منزلته وعلو منزلته، هذه شفاعات عامة، وأهل السنة أثبتوا هذه الشفاعات للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ ولغيره ولكن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين: الإذن للشافع والرضا، لابد من الإذن ولابد من الرضا، ولا يمكن أن يشفع أحد إلا بإذن الله ـعز وجلـ، ولا يمكن أن يشفع الشافع إلا برضا الرب ـعز وجلـ، والشفاعة مدخرة لأهل الإيمان، ونافعة لأهل الإيمان، ولهذا قال أبو هريرة للنبي ـعليه الصلاة والسلامـ : « من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه » يعني الموحد، ولهذا أهل الإيمان ينتفعون بها، أنكر هذه الشفاعة طوائف ضلت قالوا: إن الشفاعة التي فيها إخراج من دخل النار، أو الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها هذه لا تقع، وهذا هو قول الضلال من الوعيدية الخوارج والمعتزلة، والجهمية الذين أنكروا الشفاعة ومعلوم أن الشفاعة فيها فضل ومنة من الله ـعز وجلـ على الشافع وعلى المشفوع، ورفعة لدرجة ومقام الشافع، ولهذا قال ـعليه الصلاة والسلامـ: إن المقام المحمود سماه مقاما محمودا الذي هو الشفاعة العظمى، فينبغي للإنسان أن يحرص على متابعة النبي ـعليه الصلاة والسلامـ والحرص على الأعمال الصالحة التي تكون بها الشفاعة، الإنسان يحتاج إلى الشفاعة يوم القيامة سواء استحق العذاب أو لم يستحق العذاب، فإن أهل الجنة يحتاجون

للشفاعة برفعة الدرجات، ويحتاجون الشفاعة في دخول الجنة، فالمقصود أن الشفاعة ثابتة، وشرف عظيم للشافع، وفضل ومنة على الشافع والمشفوع له.

ثم ذكر (وقل في عذاب القبر حق موضح) أيضا عذاب القبر حق قد دلت النصوص الكثيرة على ذلك قال الله _عز وجل_ في كتابه العظيم عن فرعون وآله (šc qè=ÈÊ•èÊ ãÈÈ¥Y9$ ÇÍÌÈ É=#‹è%$‰©%

صوتها، فجاء هو بنفسه وجلس في المقبرة إلى آخر الليل فسمع صوت خالته وهي تصيح، فلما سأل وجد أن عندها أموالا لكنها لم تخرج زكاتها، فقيل له: يحصر ما عندها من مال وتخرج الزكاة، فأخرجوه، فلم يسمعوا لها صوتا بعد ذلك، المقصود أن عذاب القبر حق، أنه واقع سواء ظهر شيء من ذلك أم لم يظهر، والمؤمن مع خبر الله ـعز وجلـ، وخبر النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لا يتوقف على أن يظهر شيء من ذلك، فإذا كان الإنسان يتوقف أين الإيمان بالغيب؟ بل نصدق ونجزم ونؤمن بذلك كله، ونعلم أن خبره ـعليه الصلاة والسلامـ أعظم عندنا صدقا وواقعا من رؤيتنا وسماعنا، لو رأيناه فإن خبر النبي ـعليه الصلاة والسلامـ أعظم عندنا من رؤية الإنسان له، لأنه خبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وعذاب القبر بالنسبة لأهل الإيمان يعذبون ويكون هذا العذاب له أمن، بعض الناس يعذب في قبره وينجو يوم القيامة، أما الكافر فإنه عذاب مستمر، عذاب في القبر، وعذاب أعظم في النار، وبعض الموحدين قد يعذب في قبره، ويعذب أيضا في النار، وبعضهم قد يعذب في القبر وله أمد وينتهي، المقصود أن الإنسان يحذر من كل ما يكون سببا في عذاب القبر، قد جاء في الحديث الطويل لما رأى الزناة والزواني ورأى الرجل الذي يكذب، ورأى آكل الربا، حملها أهل العلم على أنه ـعليه الصلاة والسلامـ ذكر هذا عن هؤلاء الذين يعذبون في قبورهم، وعذاب الآخرة أشد وأنكى وأعظم، وأيضا حتى الإنسان لو أكلته الطير أو احترق أو أكلته هوام البحار فلابد أن يصل إليه شيء من العذاب والنعيم. ولا تدخل عقلك في هذه الأمور تقول: إنه لا يعذب إلا إذا كان جسدا، الروح هي الأصل في ذلك، ولاشك أن الإنسان في قبره ينال روحه وبدنه شيء من النعيم والعذاب، فعذاب القبر ونعيم القبر يكون على الروح وعلى البدن، لكن أعظم ذلك يكون على الروح.

ثم ذكر الناظم ـرحمه اللهـ قال: (ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذي العرش يصفح) هذا مراده الرد على الخوارج والمعتزلة من الوعيدية الذين يقولون: إن صاحب الكبيرة يكفر، هذا قول الخوارج، يقولون: من ارتكب كبيرة من

الكبائر فإنه يخرج عن دائرة الإسلام ويكون حلال الدم، والمال، والمعتزلة قالوا: في منزلة بين المنزلتين، خرج عن الإسلام ولم يدخل الكفر، فهم يقولون: ليس بمسلم وليس بكافر، فإن مات على المعصية فهم يتفقون مع الخوارج في المآل، الخوارج يرون أنه كافر في الحال وفي المآل، الكبيرة إذا لم يتب منها، أما المعتزلة فإنهم قالوا: في المآل لا نقول إنه كافر، ولكن أيضا لا نقول إنه مؤمن، ولهذا جاءوا بما يسمى بالمنزلة بين المنزلتين، وأما في الآخرة فإنهم وافقوا الخوارج في المآل، قالوا: من مات على الكبيرة فإنه مخلد في النار، وهذا يسمونه إنفاذ الوعيد، يعني أن هؤلاء متوعدون فلابد أن ينالهم ذلك، وأنهم لابد أن يكونوا من أهل النار، ولهذا أنكروا الشفاعة، وأنكروا خروج من دخل من الموحدين النار، أنكروا خروجه منها، وجاءوا بعمومات تمسكوا بها، ولكن الواجب هو جمع النصوص، فإن الله ـعز وجلـ قال في كتابه العظيم ﴿ÆÏÖöqr ¾ÏmÎ/ 8ÎÞçb& ÆÏÖöqr ÏÖ ©!$#bÎ)

الأئمة قال: « ما أقاموا فيكم الصلاة » يعني ما أقاموا فيكم التوحيد، ما داموا أنهم على التوحيد، لأن أعظم شعائر الإسلام الظاهرة هي الصلاة، وعلى هذا من كان من أهل التوحيد فلا يجوز لأحد أن يكفره إلا بدليل واضح بين، إذا وجدنا عنده ناقض من نواقض الإيمان، ولهذا مسألة التكفير مسألة عظيمة، ومسألة خطيرة، وعلى هذا هي من المسائل التي جاءت بها الشريعة، فإنكارها خطأ عظيم، وشر كبير، وإنكار لحكم من أحكام الشرع، والقول بها من دون الضوابط خطره عظيم أيضا، ولهذا بعض الكلمات التي تقال مثل التحذير من التكفير، هذا غلط كيف يقال: التحذير من التكفير؟! إنما يقال التحذير من القول في التكفير بلا علم، أما التحذير من التكفير، فالتكفير أمر شرعي، ولا يستقيم الإيمان إلا به، لكن من هو الكافر الذي يكفر؟ يعني من دخل في الإسلام ثم أردنا أن نخرجه من الإسلام ما يجوز أن نخرجه إلا بماذا؟ إلا بيقين، لأن دخوله في الإسلام بيقين، فلا يمكن أن نخرجه منه إلا بيقين، على هذا الكفر تكفير الناس بالنوع هذا أمر معلوم، يقال مثلا: من قال إن القرآن مخلوق وش حكمه؟ كافر، هذا معلوم، من صدق السحرة والكهان؟ كافر، إلخ هذه عمومات، هذا نقول: تكفير بالنوع، لكن إذا أردنا أن نعين شخصا فهل نكفره بعينه أيضا؟ نقول: نعم، بشرط أن تجتمع الشروط وتنتفي الموانع، يعني تقام عليه الحجة، ونعلم أنه قد علم حكم الله، وقد أخطأ طائفتان في هذا، طائفة قالت: إن أهل السنة لا يكفرون بالعين، يكفرون النوع، هذا خطأ، يعني معنى هذا أنه لا يمكن أن يقام حكم الردة على أحد، هذا لازمه، وهناك من يقول: طائفة كل من قام به شيء من الكفر فهو كافر بعينه، هذا خطأ، أليس الرجل الذي قال لأولاده: إذا أنا مت فاحرقوني، واطحنوني، ألقوني في يوم شديد الريح، لماذا؟ قال: فوالله لإن قدر الله علي ليعذبني، هذا شك في ماذا؟ في عموم قدرة الله ـعز وجلـ، ومن شك في أن الله لا يقدر أن يجمع الموتى، وش يكون هذا؟ كفر هذا، لكن هل هذا الرجل بهذه المقالة كفر، لا، لأنه حمله عليه ماذا؟ خوفه، شدة الخوف حملته على هذا، لكن ما قال هذا جحودا لأن الله ما يقدر، لكن حمله الخوف، كذلك الرجل الذي وجد ضالته دابته، قال: اللهم أنت

عبدي وأنا ربك، لو قال إنسان لربه ـعز وجلـ: أنت عبدي، وش يكون هذا؟ يكون كفرا، لكن قال: أخطأ من شدة الفرح، فالمسائل هذه ينبغي أن ترد لمن؟ لأهل العلم الراسخين، ويرد للقضاء، ولهذا من وجد عنده شيء من الردة من الذي يقوم بإقامة حد الردة عليه؟ الإمام، ومتى يقوم الإمام بذلك؟ مباشرة، أو بعد أن تعرض عليه التوبة وتزال عنه الشبهة، هذا أمر ينبغي أن يفهم وأن يعلم، فالمقصود أن أهل السنة والجماعة كما تقدم لكم من دخل في الإسلام فلا نكفره بالذنوب والمعاصي، ولا يخرج عن الإسلام إلا بيقين، وقد وجد عنده ناقض من نواقض الإسلام المعروفة، أما التفكير بالكبائر فهذا شأن الخوارج، وأنبه إلى أقوال قالها بعض المعاصرين ووقعوا فيما وقعت فيه الخوارج فإن بعضهم يتكلم عن بعض المعاصي الموجودة الآن.

فيقول: مثلا: المغنيون والمغنيات، هؤلاء نصحوا وبين لهم الحكم الشرعي، لكنهم أصروا على ما هم عليه، فهذا دليل على استحلالهم لما هم فيه، والمستحل وش يكون؟ كافرا، إذاً هؤلاء كفار، النتيجة صحيحة لكن المقدمة ليست بصحيحة، يعني معنى هذا أن كل عاص تقام عليه الحجة يبين لهم الحكم الشرعي، يقال: هذا حرام، ويصر على ما هو عليه، وش معنى هذا نحكم عليه بماذا؟ نقول: هذا مستحل، وما دام أنه مستحل إذاً هو كافر، إذاً جميع الذين يقعون في المعاصي ويصرون عليها يعتبرون ماذا؟ كفارا، وهذا قول من؟ هذا قول الخوارج، المعصية التي هي معصية ولا يتعلق بها ناقض وإن أصر العبد، فإن مصيره إلى الله ـعز وجلـ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، لكنه على خطر، لكن لا نقول بتكفيره، لكن إذا قالا مثلا: يا أخي هذا حرام وهو أمر معروف من الدين بالضرورة ظاهر، نصوصه واضحة بينة، قلنا: هذا حرام، قال: لا، هذا ما هو بحرام، هذا يكفر لأنه استحل، لكن مجرد العمل معصية لا نقول: إنه استحل لأن هذا أمر قلبي، ولا يمكن أن نلزم الناس بهذا، وإلا لم يبق أحد من العصاة يصر على معصية إلا وقد كفر، هذا لا شك أنه خطر.

هنا يقول: (فكلهم يعصي) كل بني آدم خطاء، « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون » قال الله _عز وجل_ : ﴿ ÇÈ brçÅ7ÖB Nèd #Œfù {rèz2 ‹? ÇÜœ9$ `Ï #Í»Ù ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

فأهل التقوى، وأهل الإيمان يقعون في الأخطاء ويقعون في الذنوب، من يسلم، حتى الرسل وهم الرسل وقعوا في ذنوب، كما قال الله _عز وجل_ لنبيه _عليه الصلاة والسلام_ ﴿ •z'? $Br š• ÎŒ `Ï P‰)? $B ª! $ 7 9 •ÿ×ÏÏ ﴾ [الفتح: ٢]

لكن الرسل إنما يقعون في الصغائر دون الكبائر، وأيضا لا يقرون عليها، إذا وقعوا في شيء رجعوا إلى الله _عز وجل_ وهذا هو القول الحق، فهم معصومون من الكبائر، ومن الشرك، ومعصومون فيما يبلغون عن الله _عز وجل_، أما الصغائر قد تقع منهم لكنهم لا يقرون عليها، وإلا ما معنى قول الله _عز وجل_: ﴿ `Ï P‰)? $B ª! $ 7 9 •ÿ×ÏÏ •z'? $Br š• ÎŒ ﴾ لو لم يكن لهمن ذنوب لما قال الله _عز وجل_ هذا، وذكر الله توبة آدم _عليه الصلاة والسلام_ فالمقصود أن الذنوب تقع من الناس ولكن المؤمن إذا وقع في شيء رجع إلى الله _عز وجل_ وتاب واستغفر وأناب، وهنا قوله: (فكلهم يعصي وذي العرش يصفح) أصحاب الذنوب الذين يقعون فيها من أهل التوحيد أما مسألة التوبة من الذنب هذه عامة، من تاب من ذنبه ورجع إلى الله وإن كان كافرا، فالله يتوب على من تاب وصدق في توبته ﴿ ãÅ±„ `Jï 7ïŒ brÃ $B ãÏÿ×r ¾ïÎ 8ÎÎ7çb& ãÏÿ× Ïw ©$ bÎ) ﴾

[النساء: ٤٨] هذا من مات على الشرك، لكن من تاب قال: ﴿ «!$ ìB šc qãÈ÷ Ïw ûïÏ‰Ÿ ﴾

$BÈ$O& ,ÿ 7ïŒ ©èÿ `Br šc qçÈ÷ Ïwr ÈÏs%Ï ÏÎ) ª! $PÈ$m ÓÈÈ$ § ÿÏZ9$ bqèÿ Ïwr •z#ä $g»9Î

©ÏÜãr šÆ B#ãr >$? `B ÏÎ) ÇÏÈ Pgã ¾ïÏÜ ÈÈÏr ÏJ»ÉÈ$ Pöf ÜÏ #‹è%$ã ã#è»Ïã ÇÏÈ

﴿ ÇÏÈ $VÏÏm§ #Yqãî ª! $ b%.r ¡M»Z¡m ÏÎ?$«ÍÍ™ ª! $ ãÏ6ã š• Í»ÏÈ $[sÎ»¹ WJã

[الفرقان: ٦٨_ ٧٠]

المقصود أن التوبة هذه لا إشكال، من تاب وصدق وإن كان من الكفر والشرك، لكن كونه يصفح هذا أعم من التائب، فإن المؤمن قد يقع في بعض الذنوب والمعاصي ويفضي إلى الله بذنوبه ومعاصيه فهل كل من مات على الكبائر نقول: إنه يجزم بأنه يعذب؟ وش تقولون: نقول تحت المشيئة لا نجزم، وإن مات على الذنوب، لكن نقول: إنه على خطر نخشى عليه، ونخاف عليه، لكن أمره إلى الله لأن الله قال: ﴿ brßÏ$B ãÅÁÏ9 ﴾ يغفر هنا هذا لمن؟ لمن لم يتب، أما من تاب فإن الله يتوب على من تاب وإن كان من الشرك والكفر.

ولا تعتقـــد رأي الخـــوارج إنـــه مقـال لمـن يهـواه يـردي ويفـضح
ولا تـــك مرجيـــا لعوبـــا بدينـــه ألا إنمـــا المرجـــي بالـــدين يمـــزح
وقـــل: إنمـــا الإيمـــان قـــول ونيـــة وفعـل علـى قـول الـنبي مـصرح
وينقص طورا بالمعاصـــي وتـارة بطاعتـــه ينمي وفي الوزن يرجـح

الشَّرْحُ:

هذه مسألة تتعلق بالإيمان، وهي من المسائل العظيمة، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة أنه قول وعمل واعتقاد، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، إذاً الإيمان قول وعمر واعتقاد، من أهل العلم من يقول: الإيمان قول وعمل، هذا صحيح لأن مرادهم بالقول: قول اللسان وقول القلب، ومرادهم بالقلب عمل القلب وعمل الجوارح، فقول من يقول من أهل السنة: قول وعمل لا ينافي من يقول: إنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، وقد دل على هذا نصوص كثيرة، قال الله _عز وجل_: ﴿ çÎÈ ÖÏ‰ôãâ‘ ÄÏ$¨Y9$# ©!$# ¨bÎ) ãNèd ßìÏÜãƒur ÏM≈tƒÏ‰ôϹ ÏM≈¨Zà2 ¨bÎ) ©!$# ¨≅à2 ¨βr& ﴾ [البقرة: ١٤٣]

والمقصود هنا صلاتكم كما في سبب نزول الآية، ومن ذلك حديث أبي هريرة الطويل « الإيمان بضع وستون شعبة _ أو قال بضع وسبعون شعبة _ » وش قال في هذه؟ قال: « أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان » فذكر في هذا الحديث شعب الإيمان فجعل منها القول، فالقول لا إله إلا الله، وجعل منها عمل الجوارح، قال: إماطة الأذى عن الطريق، وجعل منها عمل القلب وهو الحياء قال: « والحياء شعبة من الإيمان » فهذا الحديث ذكر فيه _عليه الصلاة والسلام_ مثالا على القول، ومثالا على الجوارح، ومثالا على عمل القلب، المقصود أن هذا هو الحق، وهو يزيد وينقص والآيات في الزيادة كثيرة قال الله _عز وجل_: ﴿ ÇÊÈ ÏÎ6¡¡ãƒur ÏÎ7¨Ψ9$# ¨βÎ) ÏÎ7¨Ψ9$# ßÌãƒur ﴾ [محمد: ١٧]

﴿ [illegible] ﴾ [الفتح: ٤]

والآيات في هذا كثيرة، وكذلك النقص، قال: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين من المرأة » ونقصان الدين بترك الصلاة وإن كان ليس عليه شيء في ترك الصلاة في أيام الحيض والنفاس لكن يعتبر نقص، ومعلوم أن الأحاديث دلت على هذا من ذلك قوله _عليه الصلاة والسلام_ لما ذكر مراتب الإنكار، قال: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » فهو يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أما الخوارج والمرجئة فهؤلاء منهم من قال: إن الإيمان يختلف، قالوا: الإيمان شيء واحد، الخوارج يقولون: شيء واحد، إذا نقص منه شيء انهدم كله، فيقولون: مثلا: من عمل كبيرة من الكبائر يبقى معه إيمان؟ الخوارج يقولون: ما يبقى معه إيمان، لأنهم يرون أنه شيء واحد، والمرجئة على خلاف هذا يقولون المرجئة مأخوذ من الإرجاء وهو التأخير، تأخير العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: إنه يكفي الإقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق وأن الله هو الإله، وأما عمل الجوارح وقول اللسان لا يتعلق به حكم، الحكم يتعلق بالقلب، ولهذا لا يكفرون لا بقول اللسان ولا بفعل الجوارح، من ذبح لغير الله يقولون: ما يكفر، من سجد لصنم، ما يكفر، من سب الله وسب الرسول، ما يكفر، من لطخ المصحف بالنجاسات ما يكفر، قالوا لأنه مقر في قلبه ومعترف، ما دام إنه يعلم إن هذا رسول، ولو قدح فيه، أو أن هذا كلام الله ولو لطخه بالنجاسات، أو أن هذا الذبح لا يجوز إلا لله ولو ذبح لغير الله، هذا لاشك أنه خطر عظيم فهؤلاء جعلوا الإيمان شيئا واحدا، ولهذا قال: الإيمان يتعلق بالقلب، وأما الجوارح والأقوال لا تؤثر فيه. والناس في الإيمان شيء واحد فإيمان جبريل مثل إيمان فرعون، وإيمان الرسل مثل إيمان الكفار، سواء سواء، لا فرق، هذا لا شك أنه خطر، وخطأ عظيم، ووقع في هذا مرجئة الفقهاء فإنهم يقولون: إن العمل ليس من الإيمان، ولكنهم اختلفوا عن المرجئة المحضة أنهم يقولون: إن الإنسان يثاب على عمله الصالح ويمدح عليه ويعاقب على عمله السيئ، لكن ما جعلوه من الإيمان، وهذا خطأ

العمل من الإيمان، ولهذا قال: (ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضح، ولا تك مرجيا) إياك أن تكن من هؤلاء أو تكن من هؤلاء، والحق وسط بين من غلا وبين من جفا، (ولا تك مرجيا لعوبا بدينه) المرجي يلعب بدينه، إذا كان يقول: ما هناك شيء إلا بالاعتقاد إذاً من صلى أو لم يصل ليس بكافر، من زكى أو لم يزك، من لم يأت بشرائع الدين لا يذم، ولا يعتبر هذا نقص في إيمانه، الإيمان شيء واحد ولاشك أن هذا غلط، هذا لعب بالدين، وش يبقى من الدين؟ ولهذا قال: (ألا إنما المرجي بالدين يمزح) لعب، (وقل إنما الإيمان) هذا قول أهل السنة والجماعة، (وقل إنما الإيمان قول ونية) النية الاعتقاد (وفعل) الذي هو عمل الجوارح (على قول النبي مصرح) واضح هذا في الأحاديث وفيما جاء أيضا في القرآن، (وينقص طورا بالمعاصي) هذا اعتقاد أهل السنة أنه ينقص بالمعاصي (وتارة بطاعته ينمو) يعني يزداد، ينمو ويكثر ويعظم، (وفي الوزن يرجح) الوزن يوم القيامة والثقل إنما يكون بزيادة الأعمال الصالحة التي هي من الإيمان.

ودع عنـك آراء الرجـال وقـولهم فقـول رسـول الله أزكـى وأشـرح
ولا تـك مـن قـوم تلـهوا بـدينهم فـتطعن في أهـل الحـديث وتقـدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خيـر تبيـت وتصـبح

الشَّرْحُ:

ثم ختم هذه المنظومة بقوله: (ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح) هذه وصية عظيمة يقول: إياك أن تقدم آراء الرجال على نصوص الكتاب والسنة احذر فإن النبي ـعليه الصلاة والسلامـ معصوم، فإنه لا يبلغ عن ربه إلا الحق ولا يقول إلا الحق، وأما غيره فإنه يلحقه شيء من الخطأ والنسيان والاجتهاد الخاطئ، وأحيانا قد يلحقه الهوى والتعصب، وأحيانا قد يأتي بالقول ويوجهه إلى ما يعتقده على هذا ينبغي الحذر من آراء الرجال ومن أقوالهم التي ليس عليها دليل، يعني الآراء المحضة التي لم تستنبط من الأدلة ولم تؤخذ من الأدلة فيجب أن يقدم الكتاب والسنة وإياك أن تجعل النص في جهة ويكون خصمه أقوال الرجال، ولهذا الصحابة ـرضي الله عنهمـ أنكروا من رد السنة بمجرد آرائه واجتهاده وإن كان يريد الخير، ابن عمر لما قال روى لهم قول النبي ـعليه الصلاة والسلامـ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » قال له ابنه بلال: والله لنمنعهن، متأول أنه رأى النقص في النساء ورأى شيئا من الشر قال: أقول قال النبي ـعليه الصلاة والسلامـ لا تمنعهن، وتقول: والله لنمنعهن، فسبه سبا ما سب أحدا مثله، تعظيم للسنة، والنصوص في هذا كثيرة، ولهذا يقول ابن القيم ـرحمه اللهـ:

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله قال الـصحابة هـم أولـو العرفـان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرســـول وبين رأي فلان

هذا ما هو العلم، تقول: قال الرسول، وتقول: قال فلان، إذا قال الله شيئا فإياك أن تعارضه بقول أحد، وإذا قال الرسول شيئا إياك أن تعارضه بقول أحد، إنما تقول: سمعنا وأطعنا، (فقول رسول الله أزكى وأشرح، ولا تك من قوم تلهوا بدينهم فتطعن في

أهل الحديث وتقدح) احذر أن تكون من قوم تلهو من اللهو وهو اللعب والعبث في الدين فتطعن في نقلة الحديث وأهل الحديث الذي يعملون به، بل عظم الحديث وأهله، وأهل الحديث يدخل فيه العلماء، علماء الحديث، علماء أهل السنة والجماعة، ويدخل فيه العامة أيضا ممن يعظم الحديث ويعمل به، إياك أن تطعن فيهم وإياك أن تقلل من شأنهم، فإن نقلة الحديث وأهل الحديث يجب أن نعرف قدرهم لعظم ما نقلوه للأمة، فلا تقدم آراء الرجال وأقوال الرجال على ما جاءت به النصوص، ولهذا يقول الناظم:

علـــم الـــنبي محمـــد آثـــار نعـــم المطيـــة للفتـــى الأخبـــار

لا تعدون عن الحديث وأهـــله الرأي ليل والحديث نهـــار

فرق بين هذا وهذا، ثم قال _رحمه الله_: (إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خيـر تبيـت وتصـبح) يعني إذا اعتقدت ما جاء في هذه العقيدة من الأصول العظيمة اعتقدت عقيدة السلف الصالح اعتقدت عقيدة أهل السنة والجماعة، اعتقدت ما دل عليه الكتاب والسنة، عملت بذلك وعظمته وابتعدت عن البدع وأهلها، فإنك على خير عظيم تبيت وتصبح، تنام تمسي وأنت على خير، لأنك تصبح وأنت على عمل دءوب في الخير والطاعة، وتمسي وأنت على ذلك، فأنت على السنة وأنت على الحق، فإن حييت فعليها، وإن مت فعليها، أسأل الله أن يوفقنا جميعا للزوم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وأن يميتنا على ذلك، وأن يثبتنا على الحق، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعيذنا من البدع والمحدثات والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.